

حقيقة الحسد وعلاج الحسود

بمباركة الرحمن الرحيم

المكتبة التوفيقية



حَقِيقَةُ الْحَسَدِ وَعِلَاجِ الْمَحْسُودِ

مَجْدِي مُحَمَّدٍ الشَّهَائِدِيِّ

المكتبة الوقفية
أمام الباب الأعظم - مدينة الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، فإنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً النبي ﷺ عبد الله ورسوله .

وبعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد المعصوم ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

ثم أما بعد :

فهذه دراسة جديدة عن الحسد والحاسدين من منظور الكتاب والسنة والحقائق العلمية الحديثة ، وقد سبق أن صدرت لى هذه الدراسة باختصار منذ بضعة سنوات (٤) .

(٢) الاحزاب : ٧٠ - ٧١

(٢) النساء : ١ .

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٤) أصدرته مكتبة القرآن بالقاهرة (عام ١٩٨٨ م) .

وفى هذه الدراسة الجديدة نتناول الموضوع ذاته - أعنى الحسد - من جوانب أخرى وبإضافات جديدة تهتم القارئ المسلم وتضيف إليه الكثير من الجديد والمفيد حول موضوع الكتاب ، والحمد لله على كل حال .

والحسد لا يمكن إنكاره لأنه مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فقد ثبت وجوده وأثره بالنص القرآنى الشريف وصحيح ما جاء من حديث المصطفى المعصوم ﷺ . . . ، فلا التفات إلى هذا أو ذاك من المتنطعين الذين دأبوا على إنكار الحسد والسحر وغيرهما مما ثبت فى القرآن والسنة وأقوال أئمة السلف والخلف .

وقد عرف الناس الحسد ولمسوا أثره منذ القدم . . . ، والمتبع لأقوال العرب - حتى فى جاهليتهم - يدرك معرفتهم للحسد وملاحظتهم لأثره وعدم إنكارهم له . . . ، كما عرف الناس ورأوا الكثير والعديد من المشاهدات حول الإصابة بالعين وأثرها فى شتى البلاد والأمصار ، من مختلف الأزمنة والأعصار .

نرجو أن يكون فى هذا العمل الجديد إضافة للمكتبة العربية والإسلامية . . . ، ونسأل الله تبارك وتعالى العون والتوفيق والعفو عن التقصير .

والى أن نلتقى معاً فى عمل آخر جديد أستودعكم الله تبارك وتعالى الذى لا تضيع ودائعه . . . ، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

وكتبه

مجدي محمد الشهاوى

شرباص - فارمكور - دمياط

بريد ٣٤٧٢١

هاتف ٤٦٦٧٨٩ (٠٥٧)

الفصل الأول

مدخل إلى عالم الحسد

★ معنى الحسد وأصله .

★ العين في لغة العرب .

★ أصل الحسد .

★ ما الفرق بين الحاسد والعائن ؟ .

★ هل يحسد الأعمى ؟ .

★ هل يحسد الإنسان نفسه أو ماله أو أولاده ؟ .

معنى الحسد وأصله

معنى الحسد :

الحسد هو : تمنى زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها .

وسبب ذلك : حب الميزة على الجنس (أى على الآخرين) ، وكراهة المساواة، فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان (الحاسد) لتلك الميزة ، أو بمساواته له فيها ، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود ، وهذا أمر لا يكاد أحد يتفك منه فى باطنه ، ولا يَأْثُم الإنسان بوجود ذلك ، بل يَأْثُم بالتمنى لزوال النعمة عن أخيه المسلم ^(١) .

وفى تفسير «الظلال» قال : الحسد انفعال نفسى إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمنى زوالها، وسواء أتبع الحاسد هذا الانفعال بسعى منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيط أو وقف عند حد الانفعال النفسى، فإن شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال ^(٢) .

ويُعرف الحسد باسم «العين» أى الإصابة بالعين، ويقال : رجل عائن أو مِعْيَان أو عَيُون (بفتح العين) : أى شديد الإصابة لغيره بالعين، وذلك من قول النبى ﷺ : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين » ^(٣) .

العين فى لغة العرب :

وكلمة «عين» ترد إلى الأسماع بعدة معانٍ :

فالعين : حاسة البصر والرؤية (آلة الإبصار لدى الإنسان والحيوان) .

(١) الطب الروحاني لابن الجوزى (ص ٣٤) .

(٢) تفسير الظلال (٦/٤٠٠٨) .

(٣) رواه مسلم (٢١٨٨) والترمذى (٢٠٢٦) ، وابن حبان (٦٠٧٥) ، عن ابن عباس . .

والعين : الجاسوس الذى يُبعث لتجسس الأخبار .

والعين والمعاينة : النظر .

ويقال للرجل يظهر لك من نفسه ما لا يفى به إذا غاب : هو عَبدُ عين ،
وصديق عين . والعين : عِظَم سواد العين وسَعَتُها .

وفلان عين الجيش ، أى رئيسه .

وأعيان القوم : أشرافهم وأفاضلهم .

والعين : عين الماء التى يخرج منها الماء . . ، وهى ينبوع الذى ينبع منه الماء
من الأرض .

والعين : الناحية .

والعين : عين الشمس ، وهو شعاعها الذى لا تثبت عليه العين . . ، وقيل :
العين أى الشمس نفسها .

والعين : المال العتيد الحاضر التام .

والعين : النَقْدُ والدينار .

والعين : الذهب .

والعين عند العرب : المِئْلُ ، وهو أن ترجع إحدى كفتيه على الأخرى .

والعينُ فى الميزان : حقيقة الشيء . يقال : جاء بالأمر من عين صافية ، أى
من فَصْه وحقيقته ، وجاء بالحق بعينه ، أى خالصاً واضحاً .

وعين كل شيء : خِيارُهُ والنفيس منه .

وعين الشيء : نفسه وشخصه وأصله .

وعين الشخص : شَاهِدُهُ .

والأعيان : الإخوة يكونون لأبٍ وأم . . ، والأعيان : ولد الرجل من امرأة واحدة ، مأخوذة من عين الشيء ، وهو النفيس منه .

والعين : الرُّبَا .

والعين : طائر أصفر البطن أخضر الظهر .

والعين : حَرْفٌ من حروف الهجاء .

والعين من السحاب : ما أقبل من ناحية القبلة وعن يمينها ، أى من قبل العراق ، يقال : هذا مطر العين .

والعين : اسم لما عن يمين قبلة أهل العراق .

والعين : أن تصيب الإنسان بعين ، وعان الرجلُ يعينه عينا ، فهو عائن ، والمصاب مَعِينٌ ومعيون . . ، ورجل مَعِيَانٌ وعَيُونٌ : شديد الإصابة بالعين ، والجمع : عَيْنٌ وعَيْنٌ .

هكذا العين فى لغة العرب (١) .

وما يهمنا هنا هو العين (الحسد) .

والحسد - كما أسلفنا - هو تمنى زوال النعمة ، وهذا التمنى قد يأتى بأن يعمل الحاسد على تعطيل الأسباب التى تؤدى للنعمة ظاهرة ، كأن يكون لإنسان أرض وافرة الإنتاج كثيرة الرزق يحسده الحاسد عليها ، ثم يأتى ليحرقها ويقتلع زروعها . . أو يكون لإنسان بيت جميل أو سيارة فاخرة فيأتى ليحرقها . . ، وقد يكون هذا التمنى بالدعاء دون الفعل . . أو يكون من داخل النفس بحيث يؤثر على المحسود ، فيوجد فى داخله ما يؤرق عليه حياته بمجرد إحساسه أن هناك مَنْ يتربص به ويتمنى زوال نعمته ويعمل على ذلك .

والحاسد يتمنى زوال نعمة غيره ، وهو فى هذه الحالة لن يستفيد شيئا فالذى

(١) لسان العرب (٣١٩٥ - ٣٢٠١) .

يُحرق زراعة غيره أو يهلك أرضه أو يحرق بيته لن يعطيه الله هذه الأرض أو هذا البيت ، وهو فى الحقيقة ظالم لنفسه ، أى أنه لم يعطها شيئاً تستفيع به ، ولو شيئاً عاجلاً ، ولكنه فى نفس الوقت أعطها الإثم الذى يوردها مَورِد الهلاك فى الدنيا والآخرة .

وكان الأخرى بالحاسد أن يعرف أن النعمة من الله سبحانه وتعالى وأن الله عنده خير كثير ، وأنه يستطيع أن يعطى كلاً منا ما يريد دون أن ينقص ذلك من مُلك الله شيئاً ، من هنا فكان الأخرى به أن يتجه إلى الله سبحانه وتعالى ليطلب منه ما يشاء ولكنه بدلاً من ذلك يتمنى زوال نعمة الغير .

. ولو أن هذا المال ، أو الجاه ، أو السلطان أو الصحة سيذهب إلى الحاسد لقلنا إنه ربما يبحث لنفسه عن نفع عاجل . . ، ولكن الحاسد أول من يعلم أنه لا يصله شيء من هذا .

والحاسد فى تَصَرُّفه إنما ينسب النعمة إلى المُنعم عليه ، ولو أنه كان مؤمناً حقاً لنسب النعمة إلى خالقها ، ولعرف أن الله سبحانه وتعالى هو الذى أعطى .

فكأن الحسد هو اعتراض من الحاسد على إرادة الله سبحانه وتعالى فى أن يهب نعمه لمن يشاء والاعتراض على إرادة الله نوع من الكفر ، فهو لا ينكر أن الله هو المنعم فقط ، ولكنه يعترض على الإرادة التى أعطت النعمة ^(١) .

★★★★★

أصل الحسد (منشأ الحسد)

قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمة الله عليه : «تأثير الحاسد فى أذى المحسود أمر لا ينكره إلا مَنْ هو خارج عن حقيقة الإنسانية ، وهو أصل الإصابة بالعين ، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة ، وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية .

(١) بتصرف ، عن كتاب «معجزة القرآن» للشيخ الشعراوى (٣/٣٢٩-٣٤٠) .

ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره ، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية .

والحسد هو سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو للحسود والمعين ، تصيبه تارة ، وتخطئ تارة ، فإن صادفته مكشوقاً^(١) لا وقاية عليه أثرت فيه ولابد ، وإن صادفته حذرا شاكى السلاح^(٢) لا منفذ فيه للسهم لم تؤثر فيه ، وربما ردت السهام على صاحبها . . ، وهذا بمثابة الرمي الحسى سواء ، فهذا من النفوس والأرواح ، وذاك من الأجسام والأشباح ، وأصله من إعجاب العائن بالشيء ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة ، ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين^(٣) .

ومن هنا فإن أصل الحسد هو خُبث النفس ، وليست العين (آلة الإبصار) ، ولا علاقة ضرورية بين الحسد وجهاز الإبصار . . ، قال الشيخ محمد متولى الشعراوى : الأعمى والمبصر كلاهما يستطيع الحسد، أى تمنى زوال النعمة عن شخص آخر، فالحسد متعلق بإرادة الحاسد وليس ببصره^(٤) .

وفى مقدمة كتاب : «ديوان المبتدأ والخبر فى ذكر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» للعلامة عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قال : « ومن قبيح التأثيرات النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعين ، عندما يستحسن بعينه متركباً من النوات أو الأحوال ويفرط فى استحسانه ، وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن أثصف به ، فيؤثر فساد ، وهو جبلة^(٥) فطرية - أعنى الإصابة بالعين - . . ، ثم قال : والفرق بينها وبين

(١) يعنى هنا أنه ليس له وقاية من الحسد يتخلّيه عن الأذكار والتحصينات الشرعية .

(٢) رجل شاكى السلاح إذا كان ذا شوكة وحدّ فى سلاحه [لسان العرب (ص ٢٣١٤)] . . ، والسلاح هنا مقصود به الأذكار والتحصينات وقوة الإيمان والعبادة ، وحسن التوكل على الله .

(٣) زاد المعاد (٣/ ١١٧، ١١٨) .

(٤) معجزة القرآن (٣/ ٣٣٧) .

(٥) جبلة الشيء : طبيعته وأصله وما بُنى عليه ، أى خلقتُه [لسان العرب (ص ٥٣٨)] .

التأثيرات النفسية - وإن كان منها ما لا يُكسب - فإن صدورها راجع إلى اختيار فاعلها ، والفطري منها قوة صدورها لا نفس صدورها ، ولهذا قالوا : القاتل بالسحر أو بالكرامة يُقتل ، والقاتل بالعين لا يُقتل ، وما ذلك إلا لأنه ليس مما يريد ويقصده أو يتركه ، وإنما هو مجبور في صدوره عنه .

والله أعلم بما في الغيوب ، ومُطَّلَع على ما في السرائر^(١) .

الفرق بين الحاسد والعائن :

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله : تأثير العين غير موقوف على الاتصالات الجسمية - كما يظنه من قلَّ علمه ومعرفته بالطبيعة والشرعية - بل التأثير يكون تارة بالاتصال ، وتارة بالمقابلة ، وتارة بالرؤية ، وتارة بتوجيه الروح نحو من يؤثر فيه ، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات ، وتارة بالوهم والتخيُّل .

ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى فيُوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه ، وإن لم يره ، وكثير من العائن يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية .

قال : وكل عائن حاسد ، وليس كل حاسد عائن . . . فلما كان الحاسد أعم^٣ من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن . . . وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه أخرى^(٢) .

هل يحسد الأعمى ؟ :

ويقول الشيخ محمد مثولى الشعراوى : الأعمى والبصر كلاهما يستطيع الحسد ، أى تمنى زوال النعمة عن شخص آخر ، فالحسد متعلق بإرادة الحاسد وليس ببصره ، والإنسان الذى يحسد يفعل ذلك اختياراً ، فأنت لست مكرهاً على الحسد ، ومكان الحسد هو القلب وليس العينين^(٣) .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٢٧ ، ٤٢٨) ط . دار الشعب .

(٢) زاد المعاد (٣/ ١١٨)

(٣) معجزة القرآن (٣/ ٣٢٧) .

ونفهم مما سبق أن :

الحاسد : هو كل مَنْ وقع من نفسه الحسد لغيره سواء كان هذا الحاسد مبصراً أو أعمى .

العائن : هو كل مَنْ تقع منه الإصابة بالحسد للغير ، ولا يُطلق ذلك إلا على الحاسد المبصر فقط ، أما الأعمى فلا .

هل يحسد الحاسد نفسه وماله وأولاده ؟ :

نعم يمكن للمرء أن يحسد نفسه وماله وأولاده .

ودليل ذلك ما جاء في حديث عامر بن ربيعة وفيه أن النبي ﷺ قال : « إذا رأى أحدكم ما يعجبه في نفسه أو ماله فليبرك عليه » (١) .

(١) ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٠٦) ، والمحاكم (٢١٥/٤) بمعناه وصححه ، وأقره الذهبي ، وفي مجمع الزوائد (١٠٨/٥) وعزاء للطبراني ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠) .

الفصل الثانى

الحسد فى القرآن الكريم

★ آيات الحسد فى القرآن الكريم .

★ أقوال أئمة أهل العلم بالتفسير حول آيات الحسد
فى القرآن .

★ حسد اليهود للإسلام والمسلمين .

★ لماذا يحسدون محمداً ﷺ وأمة ؟ .

★ إشارة لطيفة .

الحسد في القرآن الكريم

لقد ذكر لفظ الحسد ومشتقاته باللفظ الصريح في خمسة مواضع من كتاب الله تبارك وتعالى ، وهي :

قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ ^(١) .

وقال : ﴿أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٣) .

وذكر اللفظ مرتين في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ^(٤) .

مع أئمة التفسير حول آيات الحسد في القرآن :

قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ ^(٥) .

قال الضحاك عن ابن عباس أن رسولا أميا يخبرهم بما في أيديهم من الكتب والرسائل والآيات ثم يصدق بذلك كله مثل تصديقهم ، ولكنهم جحدوا ذلك كفرا وحسدا وبغيا ، وكذلك قال الله تعالى : ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يقول من بعد ما أضياء لهم الحق لم يجهلوا شيئا منه ولكن الحسد حملهم على الجحود ^(٦) .

ولعل هذا يتضح من قول الله تبارك وتعالى في المنافقين ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفَرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ ^(٧) ، فالجحود عند النعمة يتمنى زوالها عن المحسود ، ولعجزه ومهاتته يتمنى أن يفقد المحسود النعم التي أنعم الله عليه بها .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ^(٨) . قال الفخر الرازي في

(٣) الفتح : ١٥ .

(٢) النساء : ٥٤ .

(١) البقرة : ١٠٩ .

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٣) .

(٥) البقرة : ١٠٩ .

(٤) الفلق : ٥ .

(٨) النساء : ٥٤ .

(٧) النساء : ٩٨ .

تفسيره : المراد بلفظ ﴿الناس﴾ فى الآية قولان :

الأول : أنه محمد ﷺ ، وهذا قول ابن عباس والأكثرين . . ، وإنما جار أن يُطلق عليه - أى على النبى ﷺ - لفظ الجمع وهو واحد ؛ لأنه اجتمع عنده من خصال الخير ما لا يحصل إلا متفرقاً فى الجمع العظيم ، ومن هذا يقال : فلان أمة وحده ، أى يقوم مقام أمة ، قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً ﴾^(١) .

والقول الثانى : المراد ههنا هو الرسول ومَن معه من المؤمنين ، وقال مَن ذهب إلى هذا القول إن لفظ ﴿الناس﴾ جمع ، فَحَمَلُهُ على الجمع أولى من حملة على المفرد .

واعلم أنه إنما حسن ذكر الناس لإرادة طائفة معينة من الناس ؛ لأن المقصود من الخلق إنما هو القيام بالعبودية ، كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(٢) ، فلما كان القائمون بهذا المقصود ليس إلا محمداً ﷺ ومَن كان على دينه كان هو وأصحابه كأنهم كل الناس ، فلهذا حَسُنَ إطلاق لفظ الناس وإرادتهم على التعيين^(٣) .

وقال القرطبى فى تفسيره للآية قوله : ﴿ أم يحسدون ﴾ يعنى اليهود ﴿الناس﴾ يعنى النبى ﷺ خاصة ، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به .

وقال قتادة : ﴿ الناس ﴾ العرب ، حسدتهم على النبوة .

وقال الضحاك : حسدت اليهود قريشاً لأن النبوة منهم .

والحسد مذموم وصاحبه مغموم ، وهو يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب^(٤) ، رواه أنس عن النبى ﷺ .

(٢) الفاريات : ٥٦ .

(١) النحل : ١٢٠ .

(٣) تفسير الفخر الرازى (١٠/١٠٦ ، ١٠٧) .

(٤) روى أبو داود (٤٩٠٣) عن أبى هريرة ، وابن ماجه (٤٢١٠) عن أنس ، بسند ضعيف ، فنظر الضعيفة (١٩٠١-١٩٠٢) أن النبى ﷺ قال : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

وقال الحسن : ما رأيت ظالماً أشبهه بمظلوم من حاسد ، نفس دائم ، وحزن لازم ، وعبرة لا تنفذ .

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعَادُوا نعم الله . . . ، قيل له : ومن يُعَادِي نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، يقول الله تعالى في بعض الكتب : الحسود عدو نعمتي مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غير راض بقسمتي^(١)

وقال الحافظ بن كثير : يعنى حسدهم للنبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ، ومنعهم من تصديقهم إياه ، حسدهم له لكونه من العرب وليس من بنى إسرائيل .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس في قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ الآية قال ابن عباس : نحن الناس دون الناس^(٢) .

حسد اليهود للإسلام والمسلمين

يقول تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾^(٣) .

الحسد هنا هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين ، وما زالت تفيض ، وهو الذي اتبعث منه دسائسهم وتدابيراتهم كلها وما تزال . . . ، وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه ، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعة العقيدة في نفوسهم ، وردّهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه ، والذي أنقذهم الله منه بالإيمان ، وخصّهم بها بأعظم الفضل وأجلّ النعمة التي تحسدهم عليها اليهود .

وهنا في اللحظة التي تتجلى فيها هذه الحقيقة وتكشف فيها النية السيئة والحسد اللئيم ، هنا يدعو القرآن المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحقد بالحقد ، والشر

(١) تفسير القرطبي (١٦٢/٥) (٢) تفسير ابن كثير (٥١٣/١)

(٣) البقرة : ١٠٩ .

بالشر، ويدعوهم إلى الصفح والعفو حتى يأتي الله بأمره وقتما يريد ، فقال : ﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ (١).

وأمضوا في طريقكم التي اختارها الله لكم ، واعبدوا الله ، وأدخروا عنده حسناتكم ، ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجلووه عند الله إن الله بما تعملون بصير﴾ (٢).

وهكذا يوقظ السياق القرآني وعي الجماعة المسلمة ويركزه على مصدر الخطر وممكن الدسيسة ، ويعبئ مشاعر المسلمين تجاه النوايا السيئة والكيد اللئيم والحسد الدميم ، ثم يأخذهم بهذه الطاقة المعبأة المشحونة كلها إلى جناب الله ينظرون أمره ويعقلون تصرفهم بإذنه .

وإلى أن يحين هذا الأمر يدعوهم إلى العفو والسماحة ؛ لينقذ قلوبهم من نتن الحقد والضغينة ، ويدعها طيبة في انتظار الأمر من صاحب الأمر والمشية (٣).

وقد ذكرنا جملة من أقوال أهل العلم بالتفسير حول حسد اليهود للإسلام والمسلمين ، وهي في موضع لاحق فراجعه في موضعه من الكتاب والله المستعان .

لماذا يحسدون محمداً ﷺ وأمة ؟

اختلف العلماء في تفسير الفضل الذي لأجله صار اليهود يحسدون محمداً ﷺ وأمة على قولين :

القول الأول : أنه هو النبوة والكرامة الحاصلة بسببها في الدين والدنيا .

والقول الثاني : أنهم حسدوه على أنه كان له من الزوجات تسع .

قلت : ولعل القول الأول هو الراجح ، وهو ما قرره الرازي كما مشراه .

قال : واعلم أن الحسد لا يحصل إلا عند الفضيلة ، فكلما كانت فضيلة الإنسان أتم وأكمل كان حسد الحاسدين عليه أعظم . . . ومعلوم أن النبوة أعظم

(٢) البقرة : ١١٠ .

(١) البقرة : ١٠٩ .

(٣) تفسير الظلال (١/ ١٠٢ ، ١٠٣) .

المناصب في الدين ، ثم إنه تعالى أعطاها محمداً ﷺ ، وضم إليها أنه جعله كل يوم أقوى دولة وأعظم شوكة وأكثر أنصاراً وأعواناً ، وكل ذلك مما يوجب الحسد العظيم . . ، فأما كثرة النساء فهو كالأمر الحقيق بالنسبة إلى ما ذكرناه ، فلا يمكن تفسير هذا الفضل به ، بل إن جعل الفضل اسماً لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه دخل هذا أيضاً تحته ، فأما على سبيل القصر عليه فبعيد (١) .

وامتدل الألوسى في تفسيره (٢) على أن سبب حسدهم للنبي ﷺ هو أنه له تسع نسوة بما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أهل الكتاب : زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع ، وله تسع نسوة ، وليس همه إلا النكاح ، فأى ملك أفضل من هذا . . ، فأنزل الله هذه الآية (٣) انتهى .

قال الألوسى : وقيل المراد بهم جميع الناس الذين بُعث إليهم النبي ﷺ ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ يعنى النبوة وإباحة تسع نسوة أو بعثة النبي ﷺ منهم ونزول القرآن بلسانهم ، أو جمعهم كمالات تقصر عنها الأمانى ، أو نهية سبب رشادهم ببعثة النبي ﷺ إليهم (٤) .

وقد منا لك فيما مرَّ كلام ابن كثير في هذا فراجعه .

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾ (٥) عن أبى صالح قال : عرفوه ولكن حسدوه (٦) .

وفى قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لأبنائه : ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن

(١) تفسير الرازى (١٠/١٠٧) .

(٢) تفسير الألوسى (٥٧/٥) .

(٣) يعنى الآية ٥٤ من سورة النساء .

(٤) تفسير الألوسى (٥٧/٥) .

(٥) المؤمنون : ٦٩ .

(٦) أخرجه الخرائطى في مساوئ الأخلاق (٧٦٩) بسند صحيح .

الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴿١﴾ ، قال القرطبي : لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين ؛ فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد ، وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل واحد، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة ، قال ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم .

وقوله : ﴿ وما أغنى عنكم من الله من شيء ﴾ أى من شيء أحذره عليكم ، أى لا ينفع الحذر مع القدر ﴿ إن الحكم ﴾ أى الأمر والقضاء ﴿ إلا لله عليه توكلت ﴾ أى اعتمدت ووثقت ، ﴿ عليه فليتوكل المتوكلون ﴾ (٢).

وفى الآيات ، قال ابن كثير : أمر يعقوب عليه السلام بنبيه لما جهزهم مع أخيه بنيامين إلى مصر ألا يدخلوا كلهم من باب واحد ، وليدخلوا من أبواب متفرقة ، فإنه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد إنه خشي عليهم العين ، وذلك أنهم كانوا ذوى جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم ، فإن العين حق تستزل الفارس عن فرسه (٣).

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ﴾ (٤) ، قال الفخر الرازى رحمه الله : قرئ ﴿ ليزلقونك ﴾ بضم الياء وفتحها ، وزلقه وأزلقه بمعنى . . ، ويقال : زلق الرأس وأزلقه حلقه . . ، وقرئ : ﴿ ليزهقونك ﴾ من زهقت نفسه وأزهقها . . ، ثم فيه وجوه :

الأول : أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعين العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك ، من قولهم : نظر إلى نظراً يكاد يصرعنى ، ويكاد ياكلنى ، أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله ، قال الشاعر :

يتقارضون إذا التقوا فى موطن نظراً يزل مواطن الأقدام

(١) يوسف : ٦٧ .

(٢) تفسير القرطبي (٩/١٤٨ ، ١٤٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٩٧) .

(٤) القلم : ٥١ .

وَأَشَدُّ ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا مَرَّ بِأَقْوَامٍ حَدُّوْا النَّظْرَ إِلَيْهِ :

نَظَرُوا إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ مَحْمَرَةٍ نَظَرَ التِّيُوسِ إِلَى شِفَارِ الْجَارِ

وَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا النَّظْرَ كَانَ يَشْتَدُّ مِنْهُمْ فِي حَالِ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ ،
وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ .

وَالثَّانِي : مِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ وَهَذَا مَقَامَانِ :

المقام الأول : الإِصَابَةُ بِالْعَيْنِ هَلْ لَهَا فِي الْجُمْلَةِ حَقِيقَةٌ أَمْ لَا ؟

المقام الثاني : أَنْ يَتَقَدَّرَ كَوْنُهَا صَحِيحَةً ، فَهَلِ الْآيَةُ هَهُنَا مَفْسُورَةٌ بِهَا أَمْ لَا ؟ .

المقام الأول : مَنْ النَّاسُ مِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : تَأْثِيرُ الْجِسْمِ فِي الْجِسْمِ لَا يُعْقَلُ إِلَّا بِوَسْطَةِ الْمَمَاسَةِ ، وَهَهُنَا لَا مَمَاسَةَ ، فَامْتَنَعَ حُصُولُ التَّأْثِيرِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْدَمَةَ الْأُولَى ضَعِيفَةٌ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عِبَارَةً عَنِ
النَّفْسِ أَوْ عَنِ الْبَدَنِ ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ لَمْ يَمْتَنِعْ اخْتِلَافُ النُّفُوسِ فِي جَوَاهِرِهَا
وَمَاهِيَاتِهَا ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَمْتَنِعْ أَيْضًا اخْتِلَافُهَا فِي لَوَازِمِهَا وَأَثَارِهَا ، فَلَا يُسْتَبَعَدُ
أَنْ يَكُونَ لِبَعْضِ النُّفُوسِ خَاصِيَّةٌ فِي التَّأْثِيرِ ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي لَمْ يَمْتَنِعْ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ
زَاجِجَ إِنْسَانٍ وَاقِعًا عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ خَاصٌ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالْإِحْتِمَالُ
الْعَقْلِيُّ قَائِمٌ ، وَلَيْسَ فِي بَطْلَانِهِ شَبْهَةٌ فَضْلًا عَنْ حُجَّةٍ ، وَالْدَّلَائِلُ السَّمْعِيَّةُ نَاطِقَةٌ
بِذَلِكَ ، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « الْعَيْنُ حَقٌّ » ^(١) وَقَالَ : « الْعَيْنُ حَقٌّ تَدْخُلُ الرَّجُلَ
الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ » ^(٢) .

وَالْمَقَامُ الثَّانِي : مَنْ النَّاسُ مَنْ فَسَّرَ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَعْنَى ، قَالُوا : كَانَتِ الْعَيْنُ فِي
بَنِي أُمَيْيَّةٍ ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَتَجَوَّعُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَمَا يَمُرُّ بِهِ شَيْءٌ إِلَّا وَيَقُولُ : لَمْ أَرِ
كَالْيَوْمِ مِثْلَهُ ، فَيَحْسُدُهُ ، فَالْتَمَسَ الْكُفَّارُ مِنْ بَعْضِ مَنْ كَانَتْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ أَنْ يَقُولَ
فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ ، وَعَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١ ، ٢) سَبِيلِي تَخْرِيجُهُمَا .

وطعن الجبائي في هذا التأويل ، وقال : الإصابة بالعين تنشأ عن استحسان الشيء ، والقوم ما كانوا ينظرون إلى رسول الله ﷺ على هذا الوجه بل كانوا يمتقون به ويغضونه ، والنظر على هذا الوجه لا يقتضى الإصابة بالعين .

قال الفخر الرازى : واعلم أن هذا السؤال ضعيف - يعنى كلام الجبائي لأنهم وإن كانوا يغضونه من حيث الدين لعلهم كانوا يستحسنون فصاحته وإيراده الدلائل^(١) قال القرطبي في تفسيره للآية : أخبر الله بشدة عداوتهم للنبي ﷺ وأرادوا أن يصيبوه بالعين ، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا : ما رأينا مثله ولا مثل حُججه .

وقيل : كانت العين فى بنى أسد حتى إن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول : يا جارية خذى المِكتل^(٢) والدرهم فأتينا بلحم هذه الناقة ، فما تبرح حتى تقع للموت فتتحر .

وقال الكلبي : كان رجل من العرب يكثر لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول : لم أر كاليوم إبلا ولا غنماً أحسن من هذه ١ . ، فما تذهب إلا قليلاً حتى تسقط منها طائفة هالكة ، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبي ﷺ بالعين فأجابهم ، فلما مرَّ النبي ﷺ أنشد :
قد كان قومك يحسبونك ميذاً وإخال أنك سيدٌ معيُونُ

فعصم الله نبيه ﷺ ونزلت : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ ﴾ ، وذكر نحوه الماوردي وأن العرب كانت إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً - يعنى فى نفسه وماله - تجوع ثلاثة أيام ، ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول : تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر منه ولا أحسن ، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله ، فانزل الله تعالى هذه الآية^(٣) .

قال الألوسى : الحسد من تأثيرات النفوس ، والنفوس الإنسانية من أعجب مخلوقات الله عز وجل ، وكم طوى فيها من أسرار وعجائب تتحير فيها العقول ،

(١) تفسير الفخر الرازى (٣/ ٨٨ ، ٨٩) .

(٢) وعاء يُحمل فيه الأشياء (القُتَّة) .

(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ١٦٥ ، ١٦٦) .

ولا ينكرها إلا مجنون أو جهول ولا يسعني أن أنكر العين ؛ لكثرة الأحاديث الواردة فيها ومشاهدة آثارها على اختلاف الأعصار ولا أخص ذلك بالنفوس الخبيثة كما قيل ، فقد يكون من النفوس الزكية ، والمشهور أن الإصابة لا تكون مع كراهة الشيء وبغضه ، وإنما تكون مع استحسانه ، وإلى هذا ذهب القشيري ، وكأنه يشير بذلك إلى الطعن في صحة الرواية وهنا ، لأن الكفار كانوا يبغضونه عليه الصلاة والسلام ، فلا تتأتى لهم أصابته بالعين ، وفيه نظر (أى كلام القشيري)^(١).

قال القرطبي تعليقا على قول القشيري : أقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا ، وأن مرادهم بالنظر إليه قتله ، ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك ، وقرأ ابن عباس وابن مسعود والأعمش وأبو وائل ومجاهد : «ليزهقونك» أى ليهلكونك . وهذه قراءة على التفسير ، من زهقت نفسه وأزهقها وقرأ أهل المدينة : «لَيَزْلُقُونَكَ» - بفتح الياء - وضمها الباقون ، وهما لغتان بمعنى واحد ، يقال : زلقه يزلقه وأزلقه يزلقه إزلاقا إذا نَحَاهُ وأبعده .

قال : فمعنى الكلمة التنحية والإزالة ، وذلك لا يكون فى حق النبي ﷺ إلا بهلاكه وموته .

قال الهروي : أراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذى أقامك الله فيه عداوة لك .

وقال ابن عباس : ينفذونك بأبصارهم ، يقال : زلق السهم وزهق إذا نفذ ، وهو قول مجاهد أى يَنفُذونك من شدة نظرهم .

وقال الكلبي : يصرعونك .

وعنه أيضا والسدى وسعيد بن جبير : يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة .

وقال العرفي : يرمونك .

وقال المؤرج : يُزيلونك .

(١) تفسير الألوسي (٢٩/٣٨) .

وقال النضر بن شميل والأخفش : يفتنونك .

وقال عبد العزيز بن يحيى : ينظرون إليك نظراً شزواً بتحديق شديد .

وقال ابن زيد : ليمسونك .

وقال جعفر الصادق : لياكلونك .

وقال الحسن وابن كيسان : ليقتلونك . . . ، وهذا كما يقال : صرعى بطرفه
وقتلنى بعينه ، قال الشعر :

ترميك مزلقة العيون بطرفها وتكل عنك نصال نبل الرامى
وقال آخر :

يتقارضون إذا التقوا فى مجلس نظراً يزل مواطئ الأقدام

وقيل : : المعنى أنهم ينظرون إليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك .

وهذا كله راجع إلى ما ذكرنا ، وأن المعنى الجامع : بصيوتك بالعين ، والله
أعلم (١) .

وقال ابن كثير : قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : ﴿ليزلقونك﴾ ليفدونك
﴿بأبصارهم﴾ أى يعينونك بأبصارهم ، بمعنى يحسدونك ؛ لبغضهم إياك لولا وقاية
الله لك وحمايته إياك منهم .

قال : وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز
وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية (٢) .

وفى تفسير الفخر الرازى لقوله تعالى : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ (٣) قال :
من المعلوم أن الحاسد هو الذى تشتد محبته لإزالة نعمة الغير إليه ، ولا يكاد يكون
كذلك إلا ولو تمكن من ذلك بالحيل لفعل ، فلذلك أمر الله بالتعوذ منه ، وقد دخل

(١) تفسير القرطبي (١٨/١٦٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٩٠٩) .

(٣) الفلق : هـ .

فى هذه السورة كل شر يُتَوَقَّى ويتحرز منه ديناً ودنياً ، فلذلك لما نزلت هذه السورة فرح رسول الله ﷺ بنزولها ؛ لكونها مع ما يليها - يعنى سورة الناس - جامعه فى التعوذ لكل أمر ، ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله فى وقت حسده وإظهار أثره .

وفى تفسير الألوسى للآية قال : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ أى إذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الإضرار بالمحسود قولاً وفعلاً ، ومن ذلك على - ما قيل - النظر إلى المحسود وتوجيه نفسه الخبيثة نحوه على وجه الغضب ، فإن نفس الحاسد حيثئذ تتكيف بكيفية خبيثة ربما تؤثر فى المحسود - بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد - شراً قد يصل إلى حد الإهلاك ، ورب حاسد يؤذى بنظره بعين حسده نحو ما يؤذى بعض الحيات بنظرهن .

وذكروا أن العائن والحاسد يشتركان فى أن كلا منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد أذاه ، إلا أن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين والمعاناة ، والحاسد يحصل حسده فى الغيبة والحضور ، وأيضاً العائن قد يعين من لا يحسده من حيوان وزرع ، وإن كان لا يفك من حسد صاحبه والتقيد بذلك ، إذ لا ضرر قبله ، بل قيل إن ضرر الحسد إنما يحقق بالحاسد لا غير ، كما قال على كرم الله وجهه : لله در الحسد ما أعدّه بدأ بصاحبه فقتله !!

وقال ابن المعتز :

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وليُعلم أن الحسد يطلق على تمنى زوال نعمة الغير وعلى تمنى استصحاب عدم النعمة ودوام ما فى الغير من نقص أو فقر أو نحوه ، والإطلاق الأول هو الشائع والحاسد بكلا الإطلاقين ممقوت عند الله تعالى عز وجل وعند عباده ، آت بابا من الكبائر - على ما اشتهر بينهم - لكن التحقيق أن الحسد الغريزى الجبلى إذا لم يعمل

بمقتضاه من الأذى مطلقاً بل عاملاً المتصف به أخاه بما يحب الله تعالى مجاهداً نفسه لا إثم فيه ؛ بل يُثاب صاحبه على جهاد نفسه وحُسن معاملته أخاه ثواباً عظيماً ، لما فى ذلك من مشقة مخالفة الطبع كما لا يخفى (١) .

قال القرطبي : هذه سورة دالة على أن الله سبحانه خالق كل شر ، وأمر نبيه ﷺ أن يتعوذ من جميع الشرور فقال : ﴿من شر ما خلق﴾ وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمه وكثرة ضرره ، والحاسد عدو نعمة الله ، قال بعض الحكماء : بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه :

أحدها : أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره .

وثانيها : أنه ساخط لقسمة ربه ، كأنه يقول : لِمَ قسمت هذه القسمة ؟ .

وثالثها : أنه ضاد فعل الله ، أى إن فضل الله يؤتیه مَنْ يشاء ، وهو يخل بفضل الله .

ورابعها : أنه خذل أولياء الله ، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم .

وخامسها : أنه أعان عدوه إبليس .

وقيل : الحاسد لا ينال فى المجالس إلا ندامة ، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال فى الخلوة إلا جزعا وغما ، ولا ينال فى الآخرة إلا حُزنا واحترافا ، ولا ينال من الله إلا بُعداً ومقتا (٢) .

إشارة لطيفة :

فى حديث رسول الله قال : « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ ، أفشوا السلام بينكم » (٣) .

(١) تفسير روح المعاني للألوسى (٣٠/٢٨٤)

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/١٧٧) .

(٣) رواه أحمد (١/١٦٥ ، ١٦٧) والترمذى (٢٥١٠) .

نعم داء الأمم : «الحسد» و«البغضاء» كما في حديثه ﷺ وقد ذكرتُ سابقًا أن لفظ «الحسد» ومشتقاته ذكره الله في كتابه في خمسة مواضع ، وبحثت عن لفظ «البغضاء» ومشتقاته في القرآن فوجدته في مواضع خمسة أيضًا وهي :

في قوله تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخَفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣) .

وقوله الحق : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ (٤) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ (٥) .

ولعل في هذا إشارة إلى ارتباط الحسد - كل حسد - بالبغضاء وتلازم كُلّ منهما بالآخر . . ، لذلك تجد في وصف النبي ﷺ لأهل الجنة قال : ﴿ لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ ﴾ (٦) .

(١) سورة آل عمران : ١١٨ .

(٢) المائدة : ١٤ .

(٣) المائدة : ٦٤ .

(٤) المائدة : ٩١ .

(٥) الممتحنة : ٤ .

(٦) البخاري (٣٢٥٤) ، وهنا لفظه ، ومسلم (٢٨٣٤) عن أبي هريرة .

الفصل الثالث

الحسد في حديث النبي ﷺ

الحسد فى حديث المصطفى ﷺ

الأحاديث النبوية كثيرة فى إثبات صحة وقوع الحسد وحدوثه . . . ، ومن هذه الأحاديث :

١- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : رخص رسول الله ﷺ فى الرقية من العين والحمة والنملة (١).

الحمة : اسم من ذوات السموم .

النملة : قروح تخرج من الجنب .

العين : الحسد .

٢- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » (٢).

٣- وعنه أن رسول الله ﷺ كان يُعوذُ الحسن والحسين قائلاً : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ويقول : « إن أباكمما - يعنى إبراهيم عليه السلام - كان يُعوذُ بهما إسماعيل وإسحاق » (٣).

٤- وفى حديث جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال : « إن العين حق ، تدخل الرجل القبر ، والجمل القدر » (٤).

(١) مسلم (٢١٩٦) ، والترمذى (٢٠٥٦) ، وابن ماجه (٣٥١٦) ، وأحمد (١١٨/٣، ١١٩، ١٢٧) ، قال النووى : وليس معناه تخصيص جوارها - أى الرقية - بهذه الثلاثة ، إنما معناه أنه ﷺ سُئل عن هذه الثلاثة فأذن فيها ، ولو سُئل عن غيرها لأذن فيها [شرح النووى على صحيح مسلم (٨٥/١٤)] .

(٢) رواه مسلم (٢١٨٨) ، والترمذى (٢٠٢٦) ، وابن حبان (٦٠٧٥) .

(٣) البخارى (٣٣٧١) ، وأبو داود (٤٧٣٧) ، والترمذى (٢٠٦٠) ، وابن ماجه (٣٥٢٥) ، وأحمد (١/٢٣٦، ٢٧٠) ، وابن حبان (١٠٠٨، ١٠٠٩) .

(٤) أخرجه أبو نعيم (٩٠/٧) ، وانظر الصحيحة للألبانى (١٢٤٩) ، تاريخ بغداد (٢٤٤/٩) ، الكامل لابن عدى (٤٠٨/٦) .

ومعنى «تُدخل الرجل القبر» : أن يُصرع بالعين فيموت . . ، و«تُدخل الجمل القدر» أى تصرع العين الجمل فيذبحه أصحابه ويطبخوه .

٥- وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس مرفوعاً : « العين حق تستزل الخالق » (١) .

الخالق : يُقال : حَلَقَ الطائر إذا ارتفع فى الهواء .

٦- وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » (٢) .

٧- عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثر من يموت من أمتى بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » قال البزار : يعنى بالعين (٣) .

٨- وعن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العين لتولع الرجل بإذن الله حتى يصعد خالقاً ثم يتردى منه » (٤) .

٩- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجن وأعين الإنس ، فلما نزلت الموعودتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك (٥) .

١٠- وعن أم سلمة أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة فقال : « استرقوا لها فإن بها النظرة » (٦) .

(١) أحمد (٢٧٤/١ ، ٢٩٤) والحاكم (٢١٥/٤) ، والسلسلة الصحيحة (١٢٥٠) ، مجمع الزوائد (١٠٧/٥) .

(٢) المسند (٤٣٩/٢) ، ورجاله رجال الصحيح كما فى مجمع الزوائد (١٠٧/٥) .

(٣) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح عند طالب بن حبيب وهو ثقة [مجمع الزوائد (١٠٦/٥)] .

(٤) رواه أحمد (١٤٦/٥ ، ١٤٧) والبزار ورجاله أحمد ثقات ، مجمع الزوائد (١٠٦/٥) .

(٥) الترمذى (٢٠٥٨) ، والنسائى (٢٧١/٨) ، وابن مساجة (٣٥١١) ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٩٠٢) ، والمشكاة (٤٥٦٣) .

(٦) البخارى (٥٧٣٩) ومسلم (٢١٩٧) ، والحاكم (٤١٤/٤) .

١١- وعن عبد الله بن عمرو قال : قيل لرسول الله ﷺ أى الناس أفضل ؟ ، فقال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان » .

قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ .

فقال ﷺ : « هو النقي التقى ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد » (١) .

١٢- وقالت أسماء بنت عميس للنبي ﷺ : يا رسول الله إن بنى جعفر تصيهم العين أفأسترقى لهم ؟ . . ، فقال ﷺ : « نعم ، فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين » (٢) .

١٣- وعن سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف ، وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كالיום ولا جلد مخبأة (٣) ، فلبط (٤) سهل ، فأتى رسول الله ﷺ فسقى له : يا رسول الله هل لك فى سهل والله ما يرفع رأسه ، وما يفتق ، قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » ، قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيط عليه وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ؟ » ثم قال له : « اغتسل له » ، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلته وإزاره فى قدح ، ثم صب ذلك الماء عليه ، يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفى القدح وراءه ، ففعل به ذلك ، فراح سهل مع الناس ليس به بأس (٥) .

وفى الحديث أن الإصابة بالعين قد تقتل .

(١) ابن ماجه (٤٢١٦) بسند صحيح ورجاله ثقات .

(٢) أحمد (٤٣٨/٦) ، والترمذى (٢٠٥٩) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٥١٠) ، ومالك (ص ٩٤٠) .

(٣) جلد علواء مخبأة لا يراها أحد ، فهو أبيض الجلد «الجسم» .

(٤) أى صرع وسقط .

(٥) رواه أحمد (٤٨٦/٣ ، ٤٨٧) ورجاله رجال الصحيح كما فى مجمع الزوائد (١٠٧/٥) ورواه ابن ماجه

(٣٥٠٩) ، وابن حبان (٦٠٧٣) .

وفيه أن العين قد تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد ، ولو من الرجل المحب ،
ومن الرجل الصالح .

وفيه أن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة
ويكون ذلك رقية منه ^(١) .

١٤- وفي حديث جابر أن النبي ﷺ سأل أسماء بنت عميس : « مالي أرى
أجسام بني أخي ^(٢) ضارعة ^(٣) أتصيبهم الحاجة ؟ ^(٤) » قالت : لا ، ولكن العين
تسرع إليهم ^(٥) . . . فقال ﷺ : « لرقبهم » ^(٦) .

١٥- وفي حديث عامر بن ربيعة قال : انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف
يريدان الغسل ، قال فوضع سهل جبة كانت عليه من صوف ، قال عامر : فنظرت
إليه فأصبتة بعيني ، فتزل الماء يغتسل ، قال : فسمعتُ له في الماء قرقرة ، قناديته
ثلاثاً فلم يجبني ، فأتيت النبي ﷺ فأنخبرته .

قال عامر : فجاء النبي ﷺ يمشي ، فخاض في الماء فكأنني أنظر إلى بياض
ساقيه ، قال : فضرب صدره بيده ثم قال : « اللهم اصرف عنه حرَّها وبرِّدَّها
ووصِّبها » قال عامر : فقام سهل ، فقال رسول الله ﷺ : « إذا رأى أحدكم من أخيه
أو نفسه أو ماله ما يعجبه فليُسرِّك عليه فإن العين حق » ^(٧) .

(١) فتح الباري (١٠/٢١٥) .

(٢) يعني أولادها ، وهم أبناء جعفر بن أبي طالب ، وهو ابن عم النبي ﷺ وزوج أسماء بنت عميس .

(٣) أي نعيقة .

(٤) الحاجة : الفقر والعوز .

(٥) أي العين تصيبهم بسرعة .

(٦) مسلم (٢١٩٨) ، وأحمد (٣/٣٣٣) .

(٧) ابن المني (٦-٢) ، التلخيص في عمل اليوم والليلة (٢١١) ، أحمد (٢/٤٤٧) ، والحاكم (٤/٢١٥) بسند

صحيح .

١٦- عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « سيصيب أمتي داء الأمم » .

قالوا : يا نبي الله وما داء الأمم ؟ .

قال : « الأثر والبطر ، والتكاثر ، والتنافس في الدنيا ، والتباغض ، والتحاسد ، حتى يكون البغى ثم الهرج » ^(١) .

١٧- وفي حديث الزبير بن العوام عن النبي ﷺ قال : « دب إليكم داء الأمم قبلكم ، الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة ، حالقة الدين ، لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أتبكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ^(٢) .

١٨- وفي الحديث : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ^(٣) .

١٩- وفي الحديث الصحيح : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا » ^(٤) .

٢٠- وفي حديث حادثة شق الصدر للنبي ﷺ أن الملك لما شق صدر النبي ﷺ قال للآخر : « أخرج الغل والحسد من قلبه » ^(٥) .

٢١- وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا يجتمعان في قلب عبد : الإيمان والحسد » ^(٦) .

(١) الحاكم (١٦٨/٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجه ، ووافقه الذهبي ، انظر أيضا مجمع الزوائد (٣٠٨/٧) .

(٢) تقدم تخريجه في الهامش (ص ٢٧) .

(٣) تقدم تخريجه في الهامش (ص ١٧) .

(٤) البخاري (٦٠٦٥) ، مسلم (٢٥٥٩) ، وأبو داود (٤٩١٠) ، والترمذي (١٩٣٥) ، ومالك (ص ٩٠٧) ، وأحمد (٣/ ١١٠ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣) .

(٥) روله أحمد (١٣٩/٥) .

(٦) سنن النسائي (١٣/٦) .

٢٢- وفي حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فُتحت عليكم خزائن فارس والروم أى قوم أنتم ؟ » .

قال عبد الرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله .

فقال ﷺ : « أو غير ذلك ، تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون - أو نحو ذلك - ثم تنطلقون فى مساكن المهاجرين ، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض » (١) .

٢٣- ورقي جبريلُ النبی ﷺ قائلاً : « باسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد والله يشفيك ، باسم الله أرقبك » (٢) .

٢٤- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما نحن عند النبی ﷺ إذ قال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة تنطف لحيته من ماء وضوئه معلق نعليه بشماله » ، فطلع رجل بهذه الصفة فسلم وجلس مع القوم ، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل على مثل هيئته ، فلما كان اليوم الثالث قال مثل ذلك .

فلما قام رسول الله ﷺ سار معه - أى مع الرجل - عبدُ الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما وقال : قد وقع بيني وبين أبي كلام ، وأقسمت ألا ادخل عليه ثلاث ليال ، فإذا رأيت أن تؤويني إليك لأجل يميني فعلت ، قال : نعم .

قال أنس : فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يُحدِّث أنه بات عنده ليلة ، فلم يقم منها ساعة ، إلا أنه إذا تَقَلَّب على فراشه ذكر الله تعالى وكبَّره ، حتى يقوم مع الفجر ، فإذا توضأ أسبغ الوضوء ، وأتمَّ الصلاة ، ثم أصبح وهو مفطر ، قال :

(١) مسلم (٢٩٦٢) وابن ماجه (٣٩٩٦) .

(٢) رواه مسلم (٢١٨٦) ، وأحمد (٥٨٠٥٦٠٢٨/٣) والترمذى (٩٧٢) ، وابن ماجه (٣٥٢٣) عن أبي سعيد الخدري .

فرمقته ثلاث ليال لا يزيد على ذلك ، غير أنى لا أسمعته يقول إلا خيرا ، فلما مضت الثلاث - وكدت أن أحقر عمله - قلت له : إنى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى ثلاثة مجالس : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت فأردت أن أرى إليك حتى أنظر ماذا تعمل؟ فأقننى بك ، فلم أرك تعمل كثيراً فما الذى بلغ بك ما قال النبى ﷺ ؟ .

قال : ما هو إلا ما رأيت ، فأنصرفت عنه ، فدعانى حين وكّيت ، فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى شراً لأحد من المسلمين ، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه ، قال : فقلت : هذا الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ وهو الذى لا أطيق عليه (١) .

٢٥- وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود » (٢) .

٢٦- وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لأهل النعم حساداً فاحذروهم » (٣) .

(١) صحيح : رواه أحمد (١٦٦/٣) ، والبخارى (٣٤٢٩/٦) .

(٢) رواه الطبرانى فى الثلاثة وفيه سعيد بن سلام العطار ، قال العجلي لا بأس به ، وكلبيه أحمد وغيره ، وفيه رجاله ثقات ، إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ [مجمع الزوائد (٨/١٩٥)] .

(٣) قال فى مجمع الزوائد (٨/١٩٥) : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف ، وقد وثقه ابن حبان .

الفصل الرابع
الإصابة بالعين
من كلام أهل العلم

١- مع الحافظ بن حجر .

٢- كلام ابن قيم الجوزية فى الإصابة بالعين .

مع الحافظ بن حجر

قال الحافظ بن حجر فى الفتح : العين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر ، وقد وقع عند أحمد من وجه آخر عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « العين حق » ، ويحضرها الشيطان ، وحسد ابن آدم ^(١) وقد أشكل ذلك على بعض الناس فقال : كيف تعمل العين من بُعد حتى يحصل الضرر للمعيون ؟ والجواب : أن طبائع الناس تختلف ، فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن فى الهواء إلى بدن المعيون ، وقد نقل عن بعض من كان معيائاً أنه قال : إذا رأيت شيئاً يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني .

ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها فى إناء اللبن فيفسد ، ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ، وكذا تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس من غير أن تمسها يدها .

ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمضاء فيرمد ، ويشاءب واحد بحضرته فيشاءب هو ، أشار إلى ذلك ابن بطل .

وقال الخطابى : فى الحديث أن للعين تأثيراً فى النفوس ، وإبطال قول الطبائعيين إنه لا شئ إلا ما تدرك الحواس الخمس وما عدا ذلك لا حقيقة له .

وقال المازرى : زعم بعض الطبائعيين أن العائن ينبعث من عينه قوة ممية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد ، وهو كإصابة السم من نظر الأفاعى وأشار إلى منع الحصر فى ذلك مع تجويزه .

وأن الذى يتشمى على طريقة أهل السنة أن العين إنما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها الله تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص لآخر ، وهل ثم جواهر خفية أو لا ؟ هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته ولا نفيه .

(١) تقدم تخريجه فى الهامش (ص ٣٢) .

ومن قال ممن يتنمى إلى الإسلام من أصحاب الطبائع بالقطع بأن جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العائن فتتصل بالمعيون ، وتتخلل مسام جسمه ، فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم فقد أخطأ بدعوى القطع ، ولكن جائز أن يكون عادة ليست ضرورة ولا طبيعة . أ. هـ وهو كلام شديد .

وقد بالغ ابن العربي في إنكاره قال : ذهبت الفلاسفة إلى أن الإصابة بالعين صادرة عن تأثير النفس بقوتها فيه ، فأول ما تؤثر في نفسها ثم تؤثر في غيرها ، وقيل : إنما هو سم في عين العائن يصيب بلفحه عند التحديق إليه كما يصيب لفح سم الأفعى من يتصل به ، ثم رد الأول بأنه لو كان كذلك لما تخلفت الإصابة في كل حال ، والواقع خلافه ، والثاني : بأن سم الأفعى جزء منها وكلها قاتل ، والعائن ليس يقتل منه شيء في قولهم إلا نظره وهو معنى خارج عن ذلك ، قال : والحق أن الله يخلق عند نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء ما شاء من ألم أو هلكة ، وقد يصرفه قبل وقوعه إما بالاستعاذة أو بغيرها ، وقد يصرفه بعد وقوعه بالرقية أو بالاغتسال أو بغير ذلك . أ. هـ .

وفيه بعض ما يتعقب ، فإن الذى مثل بالأفعى لم يرد أنها تلامس المصاب حتى يتصل به من سمها ، وإنما أراد أن جنساً من الأفاعى اشتهر أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك ، فكذلك العائن ، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك في الحديث عند ذكر الأبر وذي الطفتين قال : « فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الخيل » ^(١) وليس مراد الخطابي بالتأثير المعنى الذى يذهب إليه الفلاسفة ، بل ما أجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون ، وقد أخرج البزار بسند حسن عن جابر رفعه : « أكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس » ^(٢) ، قال الراوى : يعنى بالعين .

وقد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص فى الأجسام والأرواح

(١) البخارى (٣٢٩٧) ، ومسلم (٢٢٣٣) وأبو داود (٥٢٥٢) والترمذى (١٤٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٥) ، وأحمد

(٢/١٢١، ٩) عن ابن عمر .

(٢) تقدم تخريجه فى الهامش (ص ٣٢) .

كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخاف ، وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر إليه وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين ، وليست هي المؤثرة وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها : فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة .

والحاصل أن التأثير بإرادة الله تعالى وخلقه ليس مقصوراً على الاتصال الجسماني ، بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة ، وأخرى بمجرد الرؤية وأخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الأدعية والرقى والالتجاء إلى الله ، وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل ، فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي إن صادف البدن لا وقاية له أثر فيه ، وإلا لم ينفذ السهم ، بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي^(١) .

قال الإمام ابن قيم الجوزية : وظاهر الأحاديث إثبات العين التي تصيب إما بما جعل الله تعالى فيها من ذلك وأودعه فيها ، وإما بإجراء العادة بحدوث الضرر عند تحديد النظر ، وإنما جرى الحديث مجرى المبالغة في إثبات الضرر عند تحديد النظر ، وإنما جرى الحديث مجرى المبالغة في إثبات العين لا أنه يمكن أن يرد القدر شيء إذ القدر عبارة عن سابق علم الله ، وهو لا راد لأمره ، أشار إلى ذلك القرطبي ، وحاصله لو فرض أن شيئاً له قوة بحيث يسبق القدر لكان العين ، لكنها لا تسبق ، فكيف غيرها ؟ .

قال ابن القيم رحمه الله : بعد أن ذكر حديث جابر يرفعه : « إن العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر »^(٢) قال : فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين ، وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها ، وهؤلاء من أجهل الناس

(١) فتح البلى (١٠ / ٢١٠-٢١١) .

(٢) تقدم تخريجه في (٦٨) .

بالسمع والعقل ، ومن أغلظهم حجبا ، واكثفهم طباعا ، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس ، وصفاتها وأفعالها ، وتأثيراتها وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ، ولا تنكره ، وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين ، فقالت طائفة : إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة ، انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين ، فيتضرر . قالوا : ولا يستنكر هذا ، كما لا يستنكر انبعث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان ، فيهلك ، وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعى أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك ، فكذلك العائن .

وقالت فرقة أخرى : لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية ، فتتصل بالمعين ، وتتخلل مسام جسمه ، فيحصل له الضرر .

وقالت فرقة أخرى : قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عند العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوة ولا سبب ولا تأثير أصلا ، وهذا مذهب منكرى الأسباب والقوى والتأثيرات في العالم ، وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب ، وخالفوا العقلاء أجمعين .

ولا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة ، وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة ، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام ، فإنه أمر مشاهد محسوس ، وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه ، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه ، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه ، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح ، ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها ، وليست هي الفاعلة ، وإنما التأثير للروح ، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها ، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى يئس ، ولهذا أمر الله سبحانه رسوله أن يستعيذ به من شره ، وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية ، وهو أصل الإصابة بالعين ، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تكيف بكيفية

خبيثة مؤذية وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية ، وأشباه الأشياء بهذا الأفعى ، فإن السم كامن فيها بالقوة ، فإذا قابلت عدوها ، انبعثت منها قوة غضبية ، وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية ، فمنها ما تشتد كقيمتها وتقوى حتى تؤثر فى إسقاط الجنين ، ومنها ما تؤثر فى طمس البصر ، كما قال النبى ﷺ فى الأبر ، وذى الطفيتين من الحيات : « إنيهما يلتمسان البصر ، ويسقطان الحبل » (١) .

ومنها ، ما تؤثر فى الإنسان كقيمتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به ، لشدة خبث تلك النفس ، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة ، والتأثير غير موقوف على اتصالات الجسمية ، كما يظنه من قل علمه ، ومعرفته بالطبيعة والشرعية ، بل التأثير يكون تارة بالاتصال ، وتارة بالمقابلة ، وتارة بالرؤية ، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه ، وتارة بالأدعية والرقي والتعوذات ، وتارة بالوهم والتخيل ، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى ، فيوصف له الشيء ، فتؤثر نفسه فيه ، وإن لم يره ، وكثير من العائنين يؤثر فى المعين بالوصف من غير رؤية ، وقد قال تعالى لنبيه : « وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ » (٢) .

وقال : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » (٣) فكل عائن حاسد ، وليس كل حاسد عائن ، فلما كان الحاسد أعم من العائن ، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن ، وهى سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تُصيبه تارة وتخطئه تارة ، فإن صادفته مكشوقاً لا وقاية عليه ، أثرت فيه ، ولا بُد ، وإن صادفته حذراً شاكياً السُّلاح (٤) لا منفذ فيه للسهام ، لم تؤثر فيه ، وربما ردت السهام على صاحبها ، وهذا بمثابة الرمى الحسى بسواء ، فهذا من النفوس والأرواح ،

(١) تقدم تخريجه فى (ص ٤٠) .

(٢) القلم : ٥١ .

(٣) الفلق : ١-٥ .

(٤) انظر ما كتبناه فى الهامش (ص ١١) .

وذاك من الأجسام والأشباح ، وأصله من إعجاب العائن بالشئ ، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة ، ثم تستعين على تنفيذ مُمِّها بنظرة إلى المعين وقد يعين الرجل نفسه ، وقد يعين بخير إرادته ، بل بطبعه ، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني .

وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء : إن من عُرف بذلك حبه الإمام وأجرى له ما ينفق عليه إلى الموت ، وهذا هو الصواب قطعاً (١) .

(١) زاد المعاد (٣/١١٧-١١٨) .

الفصل الخامس

مراتب الحسد وأسبابه

- ★ أربع مراتب للحسد .
- ★ حكم كل مرتبة من مراتب الحسد .
- ★ أسباب الحسد على وجه التفصيل .
- ★ مسبب كثرة الحسد بين الأقران والأقارب .

مراتب الحسد وحكم كل مرتبة

وأما مراتبه فأربع :

الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه ، وإن كان ذلك لا يتنقل إليه ، وهذا غاية الخبث .

الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة ، مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها .

الثالثة : ألا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها ، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما .

الرابعة : أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه .

وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا، والمندوب إليه أن كان في الدين .
والثالثة فيها مذموم وغير مذموم .

والثانية أخف من الثالثة .

والأولى مذموم محض . وتسمية الرتبة الرابعة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١) فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم ، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم^(٢) .

أسباب الحسد والمنافسة :

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في « إحياء علوم الدين » : أما المنافسة فسيبها حب ما فيه المنافسة ، فإن كان ذلك أمراً دينياً فسيبها حب الله تعالى وحب طاعته ، وإن كان دنيوياً فسيبها حب مباحات الدنيا والتنعم فيها . وإنما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً ، ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب : العداوة ، والكبر

(١) النساء : ٣٢ .

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٩٨ ، ٢٩٩) .

والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وحب النفس وبخلها . فإنه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير ، وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك ، بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه ، أو إلى من يحبه .

وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه ، وهو المراد بالتعزز .

وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه .

وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر .

وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب .

وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه .

وإما أن يكون يحب الرياسة التي تبنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها . وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى . ولا بد من شرح هذه الأسباب .

السبب الأول : العداوة والبغضاء ، وهذا أشد أسباب الحسد ، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد . والحقد يقتضى التشفى والانتقام ، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان ، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى ، فمهما أصابت عدوه بلية فرح بها ، وظنّها مكافأة له من جهة الله على بغضه ، وأنها لأجله ، ومهما أصابته نعمة ساء ذلك لأنه ضد مراده ،

وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه .

وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما ، وإنما غاية التقى ألا يبغى وأن يكره ذلك من نفسه ، فأما أن يبغض إنساناً ثم يستوى عنده مسرته ومساءته ، فهذا غير ممكن ، وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به - أعنى الحسد بالعداوة - إذ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُّوكم قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّلُورِ . إِنَّ تَمَسُّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ (١) الآية . وكذلك قال : ﴿ وَدُّوا مَا عَنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (٢) والحسد بسبب البغض ربما يقضى إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر فى إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجرى مجراه .

السبب الثانى : التعزز ، وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره . فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالا خاف أن يتكبر عليه ؛ وهو لا يطيق تكبره ، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه ، وليس من غرضه أن يتكبر ، بل غرضه أن يدفع كبره ، فإنه قد رضى بمساواته مثلاً ، ولكن لا يرضى بالترفع عليه .

السبب الثالث : الكبر ؛ وهو أن يكون فى طبعه أن يتكبر عليه ، ويستصغره ، ويستخدمه ، ويتوقع منه الانقياد له ، والمتابعة فى أغراضه ، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعتها ، أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه . ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا : كيف يتقدم علينا غلام يتيم ، وكيف نطأطئ رءوسنا ؟ فقالوا : ﴿ لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٣) أى كان لا يثقل علينا أن نتواضع له وتبعية إذا كان عظيماً . . وقال تعالى يصف قول قريش : ﴿ أَهْؤُلَاءِ مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ ﴾ (٤) كالامتحقار لهم والانتفاة منهم .

(١) آل عمران : ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) آل عمران : ١١٨ .

(٣) الزخرف : ٣١ .

(٤) الأنعام : ٥٣ .

السبب الرابع : التعجب ، كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا : ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾^(١) ، ﴿ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾^(٢) ؛ ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾^(٣) فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم ، وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة ، لا عن قصد تكبر وطلب رياسته وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب ، وقالوا متعجبين : ﴿ أبعث الله بشراً رسولا ﴾^(٤) وقالوا : ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ أَوْ صَجِجْتُمْ أَنَّ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾ الآية^(٦) .

السبب الخامس : الخوف من قوت المقاصد ، وذلك يختص بمتراحمين على مقصود واحد ، فإن كان واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده ، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية ، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال ، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ ، وتحاسد ندعاء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه ، وكذلك تحاسد الواهظين المتراحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم ، وكذلك تحاسد العالمين المتراحمين على طائفة من المتفقهة محصورين ، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له .

السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود . وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء ، واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه ، وأنه لا نظير له ، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك ، وأحب موته ، أو

(١) يس : ١٥ .

(٢) المؤمنون : ٤٧ .

(٣) المؤمنون : ٣٤ .

(٤) الإسراء : ٩٤ .

(٥) الفرقان : ٢١ .

(٦) الأعراف : ٦٣ .

زوال النعمة عنه التي بها يشاركه المنزل من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده ، وليس السبب في هذا عداوة ولا تنحيز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد . وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة . وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم .

الباب السابع : خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فإنك تجد من لا يشغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه ، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنحصر عيشهم فرح به ، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه .

ويقال : البخيل من يبخل بمال نفسه ، والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره ، فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة ، هذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ، ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في إزالتها وهذا خبث من الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته .

فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ، ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، بل ينتهك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة . وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها^(١).

(١) إحياء علوم الدين (٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠) .

وقال أبو الحسن البصري الماوردي : أعلم أن دواعي الحسد - يعنى أسبابه - ثلاثة :

الأول: بغض المحسود فيأسى عليه [الحاسد] بفضيلة تظهر أو منقبة تشكر، فيشير حسداً قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرباًها ، لأنه ليس يبغض كل الناس .

والثاني : أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به ، فيشير ذلك حسداً لولاه لكف عنه . . وهذا أوسطها أنه لا يحسد الأكفاء من دنا، وإنما يختص بحسد من علا وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز ، فلذلك صارت حسداً .

والثالث : أن يكون في الحاسد شح بالفضائل ، ويُخل بالنعم ، وليست إليه فيمنع منها ، ولا بيده فيدفع عنها ، لأنها مواهب قد منحها الله مَنْ شاء فيسخط على الله عز وجل في قضائه ، يحسد على ما منح من عطائه ، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر ، ومنحه عليه أظهر .

وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها ، إذ ليس لصاحبه راحة ، ولا لرضاه غاية ، فإن اقترن بشره وقُدرة كان بورا وانتقاما ، وإن صادف عجزاً ومهانة كان كمدا وسقاماً (١).

(١) أدب الدنيا والدين (٢٧٦ ، ٢٧٧) .

السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والاقربان

والإخوة وبنى العم والاقارب

وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله :

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها ، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر ، إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد ، لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب .

وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض ، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبيعته عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه ، فعند ذلك يريد أن يستحققه ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه ، وتترادف جملة من هذه الأسباب ، إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متناهيتين فلا يكون بينهما محاسنة ، وكذلك في محلتين ، نعم إذا تجاوزا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما ، فيثور من التناقض التنافر والتباغض ، ومنه تثار بقية أسباب الحسد ؛ ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم ، والتاجر يحسد التاجر ، بل الإمسكاف يحسد الإمسكاف ولا يحسد البزاز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب ، والمرأة تحسد ضربتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته . لأن مقصد البزاز غير مقصد الإمسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد ، إذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزيون ، وإنما ينافعه فيه بزاز آخر ؛ إذ حريف البزاز لا يطلبه الإمسكاف بل البزاز ثم مزاحمة بزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق ، فلا جرم يكون حسده للمجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر

بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ، ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب ؛ لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أنقص .

غرض واحد ، والغرض الواحد لا يجمع متباعين بل متناسين ، فذلك يكثر الحسد بينهما . نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا ، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين ، أما الآخرة فلا تضيق فيها ، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً ؛ لأن المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ، ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمره الاستفادة والإفادة . فذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة ؛ لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه ، وغرضهم المتزلة عند الله ولا تضيق أيضاً ، فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها عمانية ومزاحمة ، ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا ؛ لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسنة ، وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وأن يفرح بذلك .

والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه ، والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره ، والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه ، فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسمائه صار ذلك لذة عنده من كل نعيم ،

ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق ؛ لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته ، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة ، فإن نعيم العارف وجته معرفته التي هي صفة ذاته ، يأمن زوالها وهو أبداً يجنى ثمارها ؛ فهو بروحه وقلبه مغتد بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دائية ، فهو وإن أغمض العين الظاهرة فروجه أبداً ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة ، فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ^(١) فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا ، فماذا يظن بهم عند انكشاف العطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى ٤ .

فإذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الدنيا في الجنة محاسدة ؛ لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً ، فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً ، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ، ولذلك وسم به الشيطان اللعين ، وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتهاد ، ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى .

فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ، ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى رينة السماء ، ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض ، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ، ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار ، فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً .

فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة ، لا رحمة فيها ، ولذة لا كدر لها ، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته

(١) الحجر : ٤٧ .

وأفعال وعجائب ملكوت السموات والأرض ، ولا يُنال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً .

فإن كنت لا تشّاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضَعُفَتْ فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور ؛ إذ العنين ^(١) لا يشّاق إلى لذة الوقاع ، والصبي لا يشّاق إلى لذة الملك فإن هذه اللذات يختص بإداركها الرجال دون الصبيان والمختئين ، فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ ^(٢) ولا يشّاق إلى هذه اللذة غيرهم ، لأن الشوق بعد النوق ، ومن لم يذوق لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يشّاق ، ومن لم يشّاق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين : ﴿ ومن يَعِشْ عن ذكر الرحمن نقیض له شیطاناً فهو له قرین ﴾ ^(٣) . ^(٤)

(١) العنين : العاجز جنسياً .

(٢) النور : ٣٧

(٣) الزخرف : ٣٦ .

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٠٢ - ٣٠٥) .

الفصل السادس

حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه

★ حقيقة الحسد .

★ حكم الحسد وأقسامه .

★ الحسد والغبطة والمنافسة .

★ هل يباح الحسد في بعض الأحيان ؟ .

حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في إحياء علوم الدين : اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان :

إحداهما : أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها ، وهذه الحالة تسمى حسداً ، فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن النعم عليه .

الحالة الثانية : ألا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها ، وهذه تسمى : « غبطة » ، وقد تختص باسم : « المنافسة » .

وقد تسمى المنافسة حسداً والحسد منافسةً ، ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ، ولا حرج في الأسامي بعد فهم المعاني .

فأما الأول فهو حرام بكل حال ؛ إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق ، فلا يضرك كراحتك لها ومحبتك لزوالها ، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ، ولو أمنت فسادك لم يغمك بنعمته .

ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض ، وذلك لا عذر فيه ولا رخصة ، وأي معصية تزيد على كراحتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة؟

وإلى هذا أشار القرآن بقوله : ﴿ إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً تَنْسُوا مِنْهَا وَإِنْ تَنْسُوا مِنْهَا فَإِنَّهَا تَكُونُ لَكُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (١) وهذا الفرع شماتة والحسد والشماتة يتلازمان .

وقال تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٢) فأنظر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد ، وقال عز وجل : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ (٣) .

(١) آل عمران : ١٢٠ .

(٢) البقرة : ١٠٩ .

(٣) النساء : ٨٩ .

وذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف عليه السلام وصبر عما في قلوبهم بقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عَصِيْبَةٌ إِنْ أَتَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ ^(١) فلما كرهوا حب أبيهم له ومساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه غيروه عنه ، وقال تعالى ﴿ وَلَا يَجْلِسُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ ^(٢) أى لا تضيق صدورهم به ولا يهتمون ، فأننى عليهم بعدم الحسد ، وقال تعالى فى معرض الإنكار : ﴿ أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٤) قيل فى التفسير : حسدا .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٥) فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته ، وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن يتفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض .

قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يُبعث النبى ﷺ إذا قاتلوا قوما قالوا : نسألك بالنبى الذى وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذى تنزله إلا ما نصبرتنا ، فكانوا ينصرون ، فلما جاء النبى ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه ، فقال تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ﴾ ^(٦) أى حسدا ، وقالت صفية بنت حى للنبى ﷺ : جاء أبى وعمى من عندك يوما ، فقال أبى لعمى : ما تقول فيه ؟ قال : أقول : إنه النبى الذى بشر به موسى ، قال : فما ترى ؟ قال : أرى معاداته أيام الحياة .

فهذا حكم الحسد فى التحريم .

(١) يوسف : ٨ ، ٩ .

(٢) الحشر : ٩ .

(٣) النساء : ٥٤ .

(٤) البقرة : ٢١٣ .

(٥) الشورى : ١٤ .

(٦) البقرة : ٨٩ ، ٩٠ .

وأما المنافسة : فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة ، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد ، قال [ربيعة بن الحارث] لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة - قالوا لعلى حين قال لهما : لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها - فقالا له : ما هذا منك إلا نفاسة ، والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك ^(١) أي هذا منك حسد ، وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة .

والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاضة ، والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ ^(٣) وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدین يتسابقان إلى خدمة مولاهما ؛ إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها ، فكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال : « لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله تعالى علما فهو يعمل به ويعلمه الناس » ^(٤) .

ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال : « مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا ، فيقول : رب لو أن لي مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء » - وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه ، قال : « ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول : لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه من المعاصي فهما في الوزر سواء » ^(٥) ، فذمه رسول الله ﷺ من جهة تمنيه للمعصية ، لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله .

(١) رواه مسلم (١٠٧٢) ، وأحمد (١٦٦/٤) .

(٢) المطففين : ٢٦ .

(٣) الحديد : ٢٦ .

(٤) البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٥) ، وأحمد (٣٦٠٩/٢ ، ١٥٢ ، ٨٨) ، والترمذي (٢٠٠١) وابن ماجه

(٤٢٠٩) ، والطبراني في الكبير (٣١٦٢) ، وابن حبان (١٢٥ ، ١٢٦) .

(٥) أحمد (٢٣٠ ، ٢٣١) ، والترمذي (٢٣٢٥) ، وابن ماجه (٤٢٢٨) .

فإذا لا حرجَ على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها ما دام لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة ؛ كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة ، وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام .

وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها .

وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة ، وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته ، واللحوق به في النعمة ، وليس فيها كراهة النعمة ، وكان تحت هذه النعمة أمران ، أحدهما : راحة المتعم عليه ، والآخر : ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له .

ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصاتها في المباحات ، نعم ذلك ينقص من الفضائل ، ويناقض الزهد والتوكل والرضا ، ويحجب عن المقامات الرفيعة ؛ ولكنه لا يوجب العصيان .

وهنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا آيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصاته فلا محالة يحب زوال النقصان ، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك ، أو بأن تزول نعمة المحسود ، فإذا انسَدَّ أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر ، حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره .

وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً ، وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك ، فيعفى عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه ، ولعله المعنى بقوله ﷺ : « ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة »^(١) ثم قال : « وله منهن مخرج ؛ إذا

حسدت فلا تبغ « أى إن وجدت فى قلبك شيئاً فلا تعمل به ، ويعيد أن يكون الإنسان مسريداً للحاق بأخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة ؛ إذ يجد لا محالة ترجيحاً له على دوامها ، فهذا الحسد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر ، وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ، ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه ، حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته يادراك النعمة ، وذلك لا رخصة فيه أصلاً بل هو حرام سواء كان فى مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ، ولكن يعفى عنه فى ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى ، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له ، فهذه هى حقيقة الحسد وأحكامه (٢).

وفى تفسير «الجامع لأحكام القرآن» ، قال أبو عبد الله القرطبى : [الحسد نوعان : مذموم ، ومحمود ، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم ، وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا ، وهذا النوع الذى ذمه الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٣) ، وإنما كان مذموماً لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

أما المحمود : فهو ما جاء فى تصحيح الحديث من قوله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا

(١) قال العراقى : أخرجه ابن أبى الدنيا فى «ذم الحسد» من حديث أبى هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى بن يعقوب الزمعى ضعفهما الجمهور ، والرواية الثانية رواها ابن أبى الدنيا من رواية عبد الرحمن ابن معاوية ، وهو مرسل ضعيف ، [مجمع الزوائد (٧٨/٨)] وصياتى الحديث بنحوه فى موضع لاحق من كتابنا هذا فراجع مع تخريجه فى الهامش (١٧٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٩٤ - ٢٩٨) .

(٣) النساء : ٥٤ .

فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ^(١) . وهذا الحسد معناه الغبطة ، وكذلك ترجم عليه البخاري : « باب الاغتباط في العلم والحكمة » ^(٢) ، وحقيقتها : أن تمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ، ولا يزول عنه خيره ، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ^(٣) [^(٤)] .

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري : الحسد قسمان هما :

القسم الأول : أن يتمنى المرء زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو سلطان عن غيره لتحصل له (تمنى زوال النعمة مع تمنى انتقالها للحاسد) .

القسم الثاني : أن يتمنى زوال النعمة عن غيره ، حتى ولو لم تحصل له ولم يظفر الحاسد بها (المهم أن تزول النعمة فقط) . والقسم الثاني هو الأكثر شراً وخبيئاً ^(٥) .

وحكم القسمين : الحسد مُحَرَّمٌ تحريماً قطعياً فلا يحل لأحد أن يحسد أحداً قال تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ حسداً من عند أنفسهم ﴾ ^(٧) ، وقال : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ ^(٨) ، فذمَّ الله تعالى لهذا الخلق الذميمة مقتضى تحريمه له ونهيه عنه ، وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب » ^(٩) .

(١) تقدم تخريجه في (ص ٦٠) .

(٢) انظر فتح الباري (١/ ١٩٩) .

(٣) المطففين : ٢٦ .

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٤٩ ، ٥٠) .

(٥) منهاج المسلم (ص ١٨٤) .

(٦) النساء : ٥٤ .

(٧) البقرة : ١٠٩ .

(٨) الفلق : ٥ .

(٩) تقدم تخريجه في (٣٠) .

وفى «جامع العلوم والحكم» لأبى الفرج بن رجب الحنبلى قال : الحسد
مركوز فى طياع البشر ، وهو أن الإنسان يكره أن يتفوقه أحد من جنسه فى شىء من
الفضائل .

قال : ثم ينقسم التالى بعد هذا إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول :

منهم من يسعى فى زوال نعمه المحسود بالبقى عليه بالقول والفعل . . . ،
ويتبع هذا القسم نوعان :

النوع الأول : منهم من يسعى فى نقل ذلك إلى نفسه .

النوع الثانى : منهم من يسعى فى إزالة نعمته عن المحسود فقط من غير نقل
إلى نفسه ، وهو الأكثر شراً وخبثاً ، وهذا هو الحسد اللدوم الذى عنه ، وهو حسد
إبليس حيث حسد آدم عليه السلام لما رآه قد قاق على الملائكة بأن خلقه الله بيده
وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شىء ، وأسكنه فى جواره ، فما زال يسعى
فى إخراجهم من الجنة حتى أخرج منها .

القسم الثانى :

قسم آخر من الناس إذا حسد غيره لم يعمل بمقتضى حسده ، ولم يَبْغِ المحسود
بقول ولا بفعل ، ويسعى فى اكتساب مثل فضائله ويتمنى أن يكون مثله ، ولا يسعى
فى زوال النعمة عنه ، وهذا هو الخبطة وسماه حسداً من باب الاستعارة .

فإن كانت الفضائل التى يتمناها دنيوية ؛ فلا خير فى ذلك ، كما قال الله
تعالى : ﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ﴾^(١) .

وإن كانت الفضائل التى يتمناها دينية فهو حسن ، وقد تبنى النبى ﷺ الشهادة
فى سبيل الله .

(١) القصص : ٧٩ .

القسم الثالث :

قسم إذا وجد في نفسه الخسك سعى في إزالته ، وفي الإحسان إلى الخسود بإيثاره الإحسان إليه ، والدعاء له ، ونشر فضائله ، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الخسك ؛ حتى يبدله بحمته التي يكون المسلم خيراً منه والفضل ، وهذا من أعلى درجات الإيمان ، ومعالجه هو المؤمن للكمال الذي يجب لأخيه ما يجب لنفسه (١) .

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٢٨٦ ، ٢٨٧) بتصرف .

الحسد والغبطة والمنافسة

وثمة فروق تتضح مما أسلفناه بين الحسد والغبطة والمنافسة .

فالحسد : أن تتمنى زوال نعمة المحسود عنه .

والغبطة : أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، وليست بحسد .

وفي حديث معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : « المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء »^(١) ولا يمكن أن تكون الغبطة في هذا الحديث بمعنى الحسد المذموم فليس ذلك من أخلاق الأنبياء والشهداء في جنة الخلد ، بل وليس الحسد من صفة أهل الجنة عموماً كما في الحديث : « لا تباغض بينهم - يعني أهل الجنة - ولا تحاسد »^(٢) .

ولقد فُسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري قال : قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا ، فيقول : ربّ لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله ، فهما في الأجر سواء » وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه (غبطة) ، قال : « ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً فهو يتفقه في معاصي الله عز وجل ، ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالا فيقول : لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقته في مثل ما أنفقته فيه من المعاصي ، فهما في الوزر سواء »^(٣) .

فدنه رسول الله ﷺ من جهة تحنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها ما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له .

(١) أحمد (٢٢٩/٥ ، ٢٢٩ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣) والترمذي (٢٣٩٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) تقدم تخريجه في (ص ٢٨) .

(٣) تقدم تخريجه في (ص ٦٠) .

هل يبّاح الحسد في بعض الأحيان؟

الحسد - كما سبق - هو تمنى زوال نعمة الغير ، أما تمنى الحصول على نعمة مثل نعمة الغير من علم أو مال أو صلاح حال بدون تمنى زوالها عن غيره فلا يُعتبر حسداً ، وإنما تسمى «غبطة» وهي مباحة ، وفي الصحيحين : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو يتنقه في الحق آتاه الليل وآتاه النهار ، ورجل آتاه الله عز وجل القرآن فهو يقوم به آتاه الليل وآتاه النهار »^(١) وفي رواية : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته - أي إتفاقه - في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » أو « ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس »^(٢).

إنما مماها رسول الله ﷺ حسداً من باب الاستعارة ، وتدخل في المنافسة . قال أبو الحسن البصري الماوردي : المنافسة : هي طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم ، وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد ، وليس الأمر على ما ظنوا .

وحقيقة الحسد : شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل . . ، فهو مصروف إلى الضرر ؛ لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم من غير أنه يصير الفضل له .

فهذا هو الفرق بين المنافسة والحسد .

والمنافسة فضيلة لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخيار الأفاضل .

قال الشاعر :

فإنما الدنيا أحاديث	نافس على الخيرات أهل العلا
قوارث منهم وموروث ^(٣)	كل امرئ في شأنه كادح

(١) تقدم تخريجه في (ص ٦٠) .

(٢) تقدم تخريجه في (ص ٦٠) .

(٣) أحب الدنيا والدين (ص ٢٧٦) .

والنفاقه ليست بحرام ، بل هى إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة .

متى يجوز الحسد ؟

قالوا : ويجوز الحسد وتمنى زوال النعمة عن الفاجر والكافر إذا كان يستعين
بالنعمة على الفتنة وإيذاء المسلمين وإفساد ذات بينهم .

الفصل السابع

ما جاء من الآثار عن السلف
الصالح والحكماء والأدباء
والشعراء في الحسد
والحاسدين

بعض الآثار عن السلف في الحسد وأهله

قال بعض السلف : أول خطيئة هي الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله على الحسد والمعصية .

وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال : إني أريد أن أعظك بشيء فقال : وما هو ؟ إياك والكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ، ثم قرأ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾^(١) الآية ، وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ، ثم قرأ : ﴿ اهْبِطُوا مِنْهَا ﴾^(٢) إلى آخر الآية ، وإياك والحسد فإنه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾^(٣) ، الآيات ، وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك ، وإذا ذكر القدر فاسكت ، وإذا ذكرت النجوم فاسكت .

وقال بكر بن عبد الله : كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسمى سيكفيكه إساءته ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال : إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر^(٤) ، فقال له الملك : وكيف يصح ذلك عندي : قال : تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر ، فقال له : انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسمى سيكفيكه إساءته ، فقال له الملك : انذ مني فلما منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم ، فقال الملك في نفسه : ما أرى فلاتا إلا قد صلق ؟ قال : وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة ، فكتب له

(١) البقرة : ٢٤ .

(٢) البقرة : ٢٨ .

(٣) المائدة : ٢٧ .

(٤) أى رائحة فيه كريهة .

كتاباً بخطه إلى عامل من عماله : إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذهب به واسلخه واحش جلدَه تَبناً وابعث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سعى به فقال : ما هذا الكتاب؟ قال : خط الملك لى بصلة ، فقال : هبه لى ! فقال : هو لك ، فأخذه ومضى به إلى العامل : فقال العامل : فى كتابك أن أذهبك وأسلخك . قال : إن الكتاب ليس هو لى قاله الله فى أمرى حتى تراجع الملك ؛ فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذهب به وسلخه وحشا جلدَه تَبناً وابعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله ؛ فعجب الملك وقال : ما فعل الكتاب ؟ فقال : لقينى فلان فاستوهيه منى فوهبته له ، قال له الملك : إنه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر ، قال : ما قلت ذلك ؟ قال : قلم وضعت يديك على فيك ؟ قال : لأنه أطعمنى طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه ، قال : صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى المسىء إساءته .

وقال ابن سيرين^(١) رحمه الله : ما حسدت أحداً على شىء من أمر الدنيا ، لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة ؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

وقال رجل للحسن : هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك بنى يعقوب ؟ نعم ، ولكن غمه فى صدرك فإنه لا يضررك ما لم تعد به يداً ولا لساناً .

وقال أبو الدرداء : ما أكثر عبدٌ ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده !

وقال معاوية : كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا ذوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد تُرجى إيمانها إلا عداوة من عاداك من حسدٍ

وقال بعض الحكماء : الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى .

وقال أعرابي : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد ، إنه يرى النعمة عليك نعمة عليه .

(١) فى تفسير الفخر الرازى (٣/ ٢١٥) أقاد بأن قاتله هو ابن الزبير .

وقال الحسن : يا ابن آدم لم تحسد أخاك ؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله ؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار ؟

وقال بعضهم : الحاسد لا ينال من المجالس إلا منعة وذلا ، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة ويغضا ، ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ، ولا ينال عند الترع إلا شدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا ، ولا ينال في النار إلا حرقا واحتراقا .

وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا فخطبه بمكانه ، فقال : إن هذا لكريم على ربه ، فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره ، وقال : أحدثك من عمله بثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وكان لا يعق والديه ولا يحشى بالنعمة .

وقال زكريا عليه السلام : قال الله تعالى : الحاسد عدو لنعمتي ، مستسخط لقضائي ، غير راضٍ بقسمتي التي قسمت بين عبادي (١) .

وقال الأحنف بن قيس : لا راحة لحسود ، ولا وفاء لبخيل ، ولا صديق للملول ، ولا مروءة لكذوب ، ولا رأى لحائن ، ولا مؤدد لسيئ الخلق .

وقال بعض الحكماء : ما رأيت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد .

وقال علي رضي الله عنه : الحاسد محتاظ على من لا تثب له .

وقيل : بثس الشعار الحسد .

وقيل لبعضهم : ما بال فلان يبغضك ؟ ، قال : لأنه شقيقي في التسيب ، وجاري في البلد ، وشريكي في الصناعة . . . ؛ فذكر جميع دواعي الحسد .

وقال أعرابي : الحسد داء منصف ، يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود .

(١) إحياء علوم الدين (٢٩٢ / ٣) .

وقال المغيرة شاعر آل المهلب :

آل المهلب قسوم إن مدحتهم كانوا الأكارم أباء وأجدادا
إن العرائن تلقاها محسنة ولا ترى الطلائع الثامن حسادا

وقال عمر رضى الله عنه : يكفيك من الحاسد أن يختم وقت سرورك .

وقال مالك بن دينار : شهادة القراء مقبولة فى كل شيء ، إلا شهادة بعضهم
على بعض ، فإنهم أشد تحاسداً من التيوس .

وقال منصور الفقيه :

عنافة الفتى فيما يزول على نقصان همته دليل
ومختار الثليل أقل منه وكل فسوائد الدنيا قليل

وقال الشاعر :

أيا حاسداً لى على نعمتى أتدري على من أمات الأدب
أسأت على الله فى حكمه لأنك لم ترض لى منا وهب
فاتحسرك ربحى بأن زادنى وسدّ عليك وجوه الطلب

وقال الأصمعى : رأيت أعرابياً بلغ عمره مائة وعشرين سنة ! ، فقلت له : ما
أطول عمرك ؟ ، فقال : تركتُ الحسد فبقيت .

وقالوا : لا يخلو السيد عن ودود يلدح وحسود يقدح .

وقيل لعبد الله بن عروة : لم لزمت البلد وتركت قومك ؟ فقال : وهل بقى
إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة ؟ 19 .

وقال الشاعر :

يا طالب العيش فى أمن وفى دعة رغداً بلا قتر صبقوا بلا رنق^(١)
خلّص فؤادك من غل ومن حسد فالغل فى القلب مثل الغل فى العتق

(١) رنق : كثر .

وقال آخر :

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تاكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعادوا نِعَمَ الله .

قيل له : وَمَنْ يعادى نِعَمَ الله ؟ ، قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله .

وقال أبو العتاهية في الناس :

فيارب إن الناس لا ينصفونني فكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه وإن شئت أبغى شيئهم منعوني
وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم وإن أنا لم أبذل لهم شتموني
وإن طرقتنى نكبة فكهوا بها وإن صحبتني نعمة حسدوني
سأمنع قلبي أن يحن إليهمو وأحجب عنهم ناظري وجفوني

وقيل : إذا سرك أن تسلم من الحاسد فغم عليه أمرك .

وقال رجل من قريش :

حسدوا النعمة لما ظهرت فرمواها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أمدى نعمة لم يضرها قول أعداء النعم

وقال آخر :

إن الغرابَ وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأحوال
حسد القطاة فرام يمشى مشيها فأصابه ضربٌ من التعقال

وقال بعض الحكماء : من رضى بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد ، ومن قنع
بعطائه لم يدخله حسد .

وقال بعض اليلقاء : الناس حاسد ومحسود ، والكل نعمة حسود .

وقال بعض الأعياء : ما رأيت ظلالاً أشبه بمظلوم من الحسود ، تنفس دائم ، وهم الأنهم ، وقلب هائم .. فأخذ به بعض الشعراء فقال :
يخالفه من يراه مظلوما
يظهر منها ما كان مكتوما

إن الحسود المظلوم في كرب
قال نفسي دائم على نفس
والو لم يكن من دم الحسد إلا أنه خلق دنيء يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ،
ويختص بالخطا والمصالح ، وكانت التزاهة عنه كرماء ، والملاعة منه مغنماً ،
فكيف وهو بالنفس مضرب ، وعلى الهم مضرب ، حتى رما أقصى بصاحبه إلى التلف
من غير تكاية في عله ولا إضرار بحسود ، وقد قال معاوية رضي الله عنه : ليس
في خصال الشر أعدل من الحسد ؛ يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى الحسود .

وقيل في مشور الحكم : عقوبة الحاسد من نفسه .

وقال رجل الشريح الفاضل : إني لأحسبك على ما أرى من صبرك على
الخصوم ، ووقوفك على غامض الحكم ، قال : ما تفعلك الله بذلك ، ولا صبرتي .

وقال يعقبههم : الحسود من الهم كسابق السم ، فإن سرى سمه زال عنه
همه .

واعلم أن بحسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له ،
فإن كثرة فضله كثرت حساده ، وإن قل قلوا ؛ لأن ظهور الفضل يثير الحسد ، ويحدث
النعمة بضائع الكمد .. ولذلك قال النبي ﷺ : « استعينوا على قضاء الحوائج
بسترها فإن كل نبي نعمة محسود » (١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجد
لها حاسداً ، ولو كان الرجل أقوم من القديح لما عديم غامراً .

(١) تقدم تخريجه في (ص ١٣٦) .

وقد قال الشاعر :

إن يحسدوني فأتى غير لائمهم قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدائم لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وربما كان الحسد منبهاً على فضل المحسود ، كما قال أبو تمام الطائي :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف^(١) العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النعمى على المحسود

وقال عبد الله بن المعتز : الحاسد مختاف على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، طالب ما لا يجده..

وإذا بلى الإنسان بمن هذه حاله من حساد النعم وأعدائه القضاة استعاذ بالله من شره ، وتوقى مصارع كيده ، وتحرز من غوائل حسده ، وأبعد عن ملاسته ، وإدناؤه لحضل دائه ، وإغوار حوائقه ..

وقد قيل : حاسد النعمة لا يرضيه إلا ذوالها .

وقال بعض الحكماء : من ضرَّ بطيعة فلا تأمن يقربه ، فإن قلب الأعيان صعب المرام .

وقال عيل الحميد : ألس تقاربه خير من حسود مراقبه.

وقال محمود الوراق :

أعطيت كل الناس من نفس الرضا إلا الحسود قلبه أعمى
ما إن لي ذنباً إليه علمته إلا تظاهر نعمة الرحمن
وأبى قسماً يرضى إلا ذلتى ونهاب أمسوالى وقطع لساني

(١) العرف : الزائحة .

الفصل الثامن

علاج القلوب الحاسدة الخبيثة

- ★ الدواء الذى ينقى مرض الحسد عن القلب .
- ★ القدر الواجب فى نفي الحسد عن القلب .
- ★ نصيحة ابن الجوزى لدفع الحسد عن القلب .
- ★ وصية شيخ الإسلام ابن تيمية فى ذلك
- أىضا .
- ★ مع الماوردى من «أدب الدنيا والدين» فى
- علاج قلوب الحاسدين .

الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله :

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ، ولا تُدَاوَى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل .

والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقّيقاً أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين ؛ وأنه لا ضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين ، بل يتفجع به فيهما ، ومهما عرفت هذا عن بصيرة ، ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة ، أما كونه ضرراً عليك فى الدين فهو أنك بالحسد مسخّطت قضاء الله تعالى ، وكرهت نعمته التى قسمها بين عباده ، وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفى حكمته ، فاستنكرت ذلك واستبشعته ، وهذه جناية على حقيقة التوحيد وقذى فى الإيمان ، ونأهيك بهما جناية على الدين ، وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته ، وفارقت أولياء الله وأنبياءه فى حبهم الخير لعباده تعالى ، وشاركت إبليس وسائر الكفار فى محبتهم للمؤمنين بالبلايا وزوال النعم ، وهذه خبائث فى القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الخطب ، وتمحوها كما يمحو الليل النهار .

وأما كونه ضرراً عليك فى الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك فى الدنيا أو تتعذب به ، ولا تزال فى كمد وغم إذ أعدائك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم ، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم ، فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهي الأعداء لك وتشتهي لأعدائك ، فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت فى الحال محتك وغمك تقدماً ، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك .

ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى القطة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع ، فكيف وأنت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة ؟ فما أعجب من العاقل كيف يتعرض

لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه
ودنياه من غير جدوى ولا فائدة ؟

وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه
بحسدك ، بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل غير معلوم
قدره الله سبحانه ، فلا حيلة في دفعه ، بل كل شيء عنده بمقدار ، ولكل أجل
كتاب ، ولذلك شكّا نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله
إليه : قر من قدامها حتى تنقضى أيامها ، أى : ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى
تغييره . فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ، ومهما لم
تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ، ولا يكون عليه إثم في
الآخرة .

ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى ، وهذا غاية الجهل
فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك فإنك أيضاً لا تخلو عن عدو يحسدك ، فلو كانت
النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى نعمة ، ولا على أحد من الخلق ، ولا نعمة
الإيمان أيضاً ، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ وَدَّ
كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمُ الْكُفَارَ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(١) إذ ما يريد
الحسود لا يكون . نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره فإن أراد الكفر كفر فمن
اشتبهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد
الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول
عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة ، فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضاً
يشتهى أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك ، فنعمة الله تعالى عليك في
إن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرها .

وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح ، أما منفعة في الدين :
فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة

(١) البقرة : ١٠٩ .

والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه ، فهذه هدايا تهديها إليه ، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة ، فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل ، نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة .

وأما منفعتة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ، ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد ، وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ، ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة فينقطع قلبك حسداً ولذلك قيل :

لا مات أعداؤك بلُ خلدُوا حتى يروا فيك الذي يُكمدُ
لأرت محسوداً على نعمة فلئما الكامل من يُحسدُ

ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ، ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده ، أنت فيما تلامه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك ، فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا وبالأخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والأخرة ، وصرت مذموماً عند الخالق والخلائق ، شقياً في الحال والمآل ، ونعمة المحسود دائماً شئت أم أبيت باقية ، ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك ، لأنه لما رآك محروماً من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة ؛ لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدنيا لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك ، فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فيغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك .

وقد قال أعرابي للنبي ﷺ : يا رسول الله الرجل حب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي ﷺ : « المرء مع من أحب »^(١) .

وقام أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال : يا رسول الله متى الساعة؟ فقال : « ما أعددت لها ؟ » قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا إني أحب الله ورسوله ، فقال ﷺ : « أنت مع من أحببت »^(٢) قال أنس : فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله ، قال أنس : فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : إنه كان يقول إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما ، فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ، فقال : سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجاً .

فانظر الآن كيف حسدك إبليس فقوت عليك ثواب الحب ، ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت ، وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح ؟ وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك ؟ فليتك إذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث : « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه »^(٣) أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعذك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة ، فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك ، بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقتله فلا

(١) البخاري (٦١٦٩) ، ومسلم (٢٦٤٠) ، وأحمد (٣٩٢/١) عن ابن مسعود .

(٢) البخاري (٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٣٩) ، والترمذي (٢٣٨٥) ، وأحمد (١٦٧/٣) ، ١٧٨ ، ١٩٢) من أنس .

(٣) قال العراقي لم أجده أصلا .

يصيبه بل يرجع إلى حقيقته اليمنى فيقلعها ، فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها ، فيزداد غيظه فيعود على رأسه فيشجبه ، وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى ، وأعداؤه حوله يفرحون ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه ، بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفت إلا العينين ولو بقيتا لقاتتا بالموت لا محالة . والحسد يعود بالإثم والإثم لا يفوت بالموت ، ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار ، فإن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار ، فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها زالتا عنه تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(١) وربما يتلى بعين ما يشتهي لعدوه ، وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويتلى بمثلها ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها : ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي ، حتى لو تمنيت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفى من الأعداء ؟ وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة .

فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه ، وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه .

وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه ، فإن حملة الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه ، وإن حملة على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه ، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه ، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه ، وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد ؛ لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويستترقه ويستعطفه ويحمله

(١) قاطر : ٤٣ .

على مقابلة ذلك بالإحسان ، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً : طبعاً آخر ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له : لو تواضعت وأثنت عليه حملك العدو على العجز أو على التفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة ، وذلك من خداع الشيطان ومكايد ، بل المجاملة - تكلفاً كانت أو طبعاً - تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب إلى التألف والتحاب ، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض .

فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا أنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المر ، فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء ؛ وإنما تهون مرارة هذا الدواء ، أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم ، بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه ، وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل ، وعند ذلك يريد ما لا يكون ، إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخساسة ، ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين : إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون ، والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه . وإما الثاني : فللمجاهدة فيه مدخل ، وتحصيله بالرياضة ممكن ، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلى .

فأما الدواء المفصل : فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغنى ، فإنها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة ، فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده ، فإنه ما دام محبباً للجاء فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاء والمثلة في قلوب الناس دونه ، ويغمه ذلك لا محالة ، وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده ، فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق (١) .

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٠٥-٣١٠) .

القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

قال الغزالي رحمه الله : اعلم أن المؤذى عمقوت بالطبع ، ومن آذاك فلا يمكنك ألا تبغضه غسالبًا ، فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ألا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله ، بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ، ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ، ولكن إن قوى ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك ، وإن كفت ظاهرك بالكلية إلا أنك يباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضًا حسود عاص ؛ لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل ، قال الله تعالى : ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾^(٢) وقال : ﴿ إن تمسكم حسنة تسؤهم ﴾^(٣) أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد ، بل محل الحسد القلب دون الجوارح ، نعم هذا الحسد ليس مظلومة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى ، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح ، فأما إذا كفت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أدبت الواجب عليك ، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا ، فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء ، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتًا إلى حظوظ الدنيا ، إلا أن يصير مستغرقًا بحب الله تعالى مثل السكران الواله ، فقد ينتهى أمره إلى ألا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ، ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعال الله ، ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبيعته ويعود العدو إلى منارعتة - أعنى الشيطان - فإنه ينارع بالوصوسة

(١) الحشر : ٩ .

(٢) النساء : ٨٩ .

(٣) آل عمران : ١٢٠ .

فمهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه ، وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يَأْتُم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه ، لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال : غمه فإنه لا يضر ك ما لم تبده ، وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال : « ثلاثة لا يخلو منهم المؤمن وله منهم مخرج فمخرجه من الحسد ألا ينح »^(١) والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو ، وتلك الكراهة تمنعه من البغى والإيذاء ، فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ، ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من حب إساءة مسلم فهو حاسد ، فإذا كان كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد ، والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى ، إذ يعد عن العبد في إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة .

وقد عرفت من هنا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال :

أحدها : أن تحب مساوئهم بطبعك ، وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك ، وهذا معفو عنه قطعاً ؛ لأنه يدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثاني : أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً .

الثالث : وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه ، وهذا في محل الخلاف ، والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه ، والله تعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٢) .

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٢٥/٦) ، وأبو الشيخ في التبيين (١٥٢ ، ٢٣٧) ، والطبراني في الكبير

(١/٣٣٠) ، وإسناده ضعيف ، انظر مجمع الزوائد (٧٨/٨) وقد تقدم الحديث بنحوه ، وتقدم تخريجه في

صفحة ٦٢ الهامش (١) فراجع هناك .

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣١٠ ، ٣١١) .

نصيحة ابن الجوزي لدفع الحسد عن القلب

قال أبو الفرج بن الجوزي رحمة الله عليه : وعلاج هذا المرض - يعنى الحسد - أن يعلم الإنسان أولاً أن الأقدار السابقة لا بد أن تجرى ، وأن الاحتميات فى صرف المقدور غير محكن ، وأن القسّام حكيم ، ثم هو مالك يعطى ويحرم فهو الذى خلق الطرف^(١) السابق والكودن^(٢) .

قال : وكأن الحاسد مضاد لإرادة المُعطى سبحانه .

قال بعض الحكماء :

أكثرى على من أسأت الأدب ؟	ألا قل لمن كان لى حاسداً
لأنك لم ترض لى وهب	أسأت على الله فى فعله
ومدّ عليك وجوه الطلب	فجازاك عنى بأن رادنى

ثم إن المحسود لم يُنقص الحاسد من رزقه ، ولم يأخذ شيئاً من يده ، فقصد الحاسد زوال ما أعطيه ظلم محض .

ثم ينبغى للحاسد أن ينظر فى حال المحسود ، فإن كان إنما نال الدنيا فقط ، فهذا ينبغى أن يُرحم لا أن يُحسد ، لأن الذى ناله فى الغالب عليه لا له ، وهل فضول الدنيا إلا هموم كما قال المتنبى :

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

وبيان هذا أن الكثير المال شديد الخوف عليه ، والكثير الجوارى شديد الخنز عليهن قوى الاهتمام بهن أو لهن ، والوالى خائف من العزل .

ثم ليعلم أن النعم كثيرة الأكدار ، ثم هى قليلة اللبث ، والمصائب ترد فيها ، فإن صاحب النعمة ينتظر زوالها أو زواله عنها .

(١) الطرف : الكريم من الناس والخيل وغيرها

(٢) الكودن : الفرس الهجين والبغل .

ثم ليوقن أن ما يحسد عليه المحسود ليس هو عند المحسود كما هو عند الحاسد فإن الناس يظنون في أرياب المناصب أنهم في غاية اللذة ، ولا يدرون أن الإنسان يسمو إلى أمر ، فإذا ناله برَدَّ عنده ، وصار عادةً له ، فهو يسمو إلى ما هو أعلى منه ، وهذا الحاسد يرى الأمر بعين الجدة والغبطة .

وليعلم الحاسد أنه لو عاقبه المحسود لما ناله بأشد من الأذى الذي هو فيه ، فإن لم يتففع بشيء من هذا العلاج فليسع في التسبب إلى مثل ما نال المحسود ؛ فقد قال بعض السلف : لقد خشيت الهم حتى في الحسد ، فإن الرجل إذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله . . . ، أو على العلم سهر وتعلَّم ، فقد صار الناس يحبون البطالة ، ثم يذمون الواصل إلى المعالي^(١) .

وصية شيخ الإسلام ابن تيمية لعلاج مرض الحسد من قلب الحاسد :

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : الحسد مرض من أمراض النفس ، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا القليل من الناس ، ولهذا يُقال : لا ما خلا جسد من حسد ، لكن اللئيم يبيديه والكريم يخفيه .

وقد قيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن ؟ ، فقال ما أنساك أخوة يوسف لا أبا لك ؟ ولكن عمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولساناً .

فَمَنْ وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر ، فيكره ذلك من نفسه .

وكثير من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود فلا يعينون مَنْ ظلمه ، ولكنهم أيضاً لا يقدمون بما يجب من حقه ، بل إذا ذمَّ أحد لم يوافقوه على ذمِّه ، ولا يذكرون محامده ، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا ، وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه مفرطون في ذلك لا معتدون عليه ، وجزاؤهم أنهم يُخسون حقوقهم فلا يُنصَفُون أيضاً في مواضع ، ولا يُنصرون على مَنْ ظلمهم كما لم ينصروا هذا المحسود .

(١) الطب الروحاني لابن الجوزي (ص ٣٤ - ٣٦) .

وأما مَنْ اعتدى بقول أو فعل فلذلك يُعاقَب ، وَمَنْ اتقى الله وصبر فلم يدخل
فى الظالمين نفعه الله بتقواه .

وقيل : أول ذنب عُصى الله به ثلاثة : الحرص والكبر والحسد ، فالحرص من
آدم ، والكبر من إبليس ، والحسد من قابيل حيث قتل هابيل .

وفى الحديث : « ثلاث لا ينجو منهن أحد : الحسد والظن والطيرة وسأحدثكم
بما يُخرج من ذلك ، إذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيرت
فامضي » (١) أهـ (٢) .

مع الماوردى من « أدب الدنيا والدين » فى علاج قلوب الحاسدين :

قال أبو الحسن البصرى الماوردى رحمه الله : أما ما يستعمله مَنْ كان غالباً عليه
الحسد ، وكان طبعه إليه مائلاً ليتفنى عنه ويكفاه ويسلم من ضرره وعداوته فأمور هى
له حَسْمٌ إن صادفها عزم :

فمنها : اتباع الدين فى اجتنابه ، والرجوع إلى الله عز وجل فى آدابه ، فيقهر
نفسه على مذموم خلقها ، وينقلها عن لثيم طبعها . . ، وإن كان نقل الطباع عسيراً ؛
لكن بالرياضة والتدريج ليسهل منها ما استصعب ، ويُحِبُّ منها ما أتعب فإنه إذا
عانى تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق ، ثم بالعادة يصير كالخلق ، قال أبو
تمام الطائى :

فلم أجد الأخلاق إلا تَخَلُّقاً ولم أجد الأفضال إلا تَفَضُّلاً

ومنها : العقل الذى يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه ، ويستنكف من
هجنة مساويه ، فيذل نفسه أنفةً ، ويقهرها حمية ، فتدعن لرشدتها ، وتحيب إلى
صلاحها ، وهذا إنما يصح لذى النفس الأبية والهمة العلية ، وإن كان ذو الهمة يجلّ
عن دناءة الحسد ، وقد قال الشاعر :

(١) تقدم تخريجه فى الهامش (ص ٦٢) ، وينحوه أيضاً فى (ص ٨٧) .

(٢) أمراض القلوب وشفائها ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ط ، السلفية ، (ص ٢١ ، ٢٢) .

أبى له نفسان : نفس زكية ونفس إذا خافت الظلم تُشمسُ

ومنها : : أن يستدفع ضرره ، ويتوقى أثره ، ويعلم أن مكانته فى نفسه أبلغ ،
ومن الحسد أبعد ، فيستحمل الحزم فى دفع ما كدّه وأكمدّه ؛ ليكون أطيّب نفساً أهناً
عيشاً .

وقد قيل : العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد .

وقد قال الشاعر :

بصير بأعقاب الأمور كأنما يرى بصواب الرأى ما هو واقع

ومنها : ما يرى من نفور الناس عنه ويُعدّهم منه فيخافهم ؛ إما على نفسه من
عداوة ، أو على عرضه من ملامة ، فيتألفهم بمعالجة نفسه ويبراهم إن صلحوا أجدى
نفعاً وأخلص ودّاً .

وقال ابن العميد : رحمه الله تعالى

دارى جوى بِجَوَى وليس بحازم مَنْ يستنكف النار بالحُلُقَاءِ

وقال المؤمل بن أميل :

لا تحسبوني غنياً عن مودّتكم إني إليكم وإن أيسرت مُفْتَقِرُ

ومنها : أن يساعد القضاء ويستسلم للمقدور ، ولا يرى أن يغالب قضاء الله
فيرجع مغلوباً ، ولا أن يعارضه فى أمره فيردّ محروماً مسلوباً .

وقد قال أوردشير بن بابك : إذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه .

وقال محمود الوراق :

قَدَرُ الله كـ	حِينَ يَقْضَى وَرُودُهُ
قَدْ مَضَى فَبِكَ عِلْمُهُ	وَأَنْتَ هِيَ مَسْأَلَتُهُ
فَأَرَدُ مَا يَكُونُ إِنْ	لَمْ يَكُنْ مَسْأَلَتُهُ

فإن أظفرتة السعادة بأحد هذه الأسباب ، وهدتُ المرائد إلى استعمال الصواب ، سَكِمَ من مقامه ، وخلص من غرامه ، واستبدل بالنقص فضلا ، واعتاض من الذم حمدا .

ولن استنزل نفسه عن مذمة فصرفها عن لائمة هو أظهر حزما ، وأقوى عزما ممن كفته النفس جهادها ، وأعطته قيادها . . ؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خياركم كل مُفْتَنٍ تَوَّابٍ .

الفصل التاسع

الحسد بين العلم والطب . وأثر الحسد على الفرد وعلى المجتمع

- ★ الحسد في ميزان الطب الحديث .
- ★ الحسد في ميزان العلم الحديث .
- ★ ضرر معنوي وآخر مادي .
- ★ نتائج الدراسات العلمية للحسد .
- ★ ماذا يجنى الحاسد من حسده ؟ .
- ★ أثر الحسد في المجتمع .
- ★ حكم الحاسد وواجب الحاكم نحوه .
- ★ القصاص من العائن .

الحسد في ميزان الطب الحديث

يقول الأستاذ الدكتور على محمد مطاوع أول عميد لكلية الطب جامعة الأزهر: المعروف أن كل القوى الميكانيكية والطبيعية والكيميائية والحيوية إذا أُسيء استعمالها يمكن أن تسبب أمراضاً في الإنسان .

ويضاف إلى هذه القوى المرئية - سواء بالعين أو بالاستعانة بالميكروسكوبات قوى أخرى لا تُرى ؛ ومنها : الأشعة والجن ، وقوى الإنسان النفسية ، مثل الحسد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وبين لنا رسول الله ﷺ وسائل الوقاية منه ، ووسائل العلاج .

والحسد مظهر من مظاهر تأثير قوى النفس في النفوس الأخرى ، ويمثل الجانب السيئ منها ، إذ لا يخفى أن للنفوس الصالحة النقية تأثيراً طيباً على النفوس التي تنفعل بها ، وهذه الطاقة النفسية تزيد وتنقص تبعاً لاختزانها ، أو نصريفها بإعطاء النفس مشتهياتها ورغباتها ، فمن خالف نفسه زادت عنده هذه الطاقة النفسية ، ومن أسرف في شهواته وهوى نفسه نقصت عنده هذه الطاقة .

وتوجيه هذه الطاقة النفسية إلى أي شيء بقصد الضرر تسبب ضرراً قال فيه رسول الله ﷺ : « اتقوا سُمَّ الأعين ، فإن العين تُدخلُ الرجلَ القبرَ والجَمَلَ القِدرَ » (١) .

والنفس بطبيعتها أُمارة بالسوء (٢) ، ولكي يمنع التأثير السيئ لقوى النفس يجب أن نذكر الله عند رؤية أي شيء ، قال تعالى : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ (٣) .

فذكرك : « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » يمنع التأثير السيئ لقوى النفس ، والتي

(١) تقدم تخريجه في (ص ٣١) بنحوه .

(٢) وفي القرآن : ﴿ إن النفس لأُمارة بالسوء إلا ما رحم ربى وإن ربى غفور رحيم ﴾ [يوسف : ٥٣] .

(٣) الكهف : ٣٩ .

تكون قوية جداً في البخلاء لأنهم يحرمون أنفسهم من كثير مما أحل الله من الطيبات، وكما سبق أن ذكرنا فإن حرمان النفس من مشتبهاتها يزيد من طاقتها النفسية .

وقد يسيء الإنسان إلى نفسه وإلى أحب الناس إليه إذا لم يقل : « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » ، ويترك للنفس الأمانة بالسوء العنان فتسبى إلى كل شيء تقع عليه العين ، ولو كان أحب الناس إليه ويجب ألا ننسى أن الإنسان خلق من تراب ، ثم من نطفة ، ثم نفخ الله فيه روحه ، وأن هذه الروح إذا دخلت جسم الإنسان واشتغلت بمطالب الجسد سُميت نَفْسًا ، وأن الإنسان إذا أطاع نفسه ولم يقاوم رغبات النفس وهواها كان أقرب ما يكون إلى طريق الشيطان .

وهكذا نرى أن الطاقة الروحية في الإنسان تظهر وتتفعل بها الأشياء وتتفاوت قوتها وتأثيراتها بحسب درجة اتباع الإنسان لمنهج الله . . ، فإذا كان تقياً صالحاً فإن الله يجرى على يديه شفاء النفوس والأجساد . . ، وإن كان يحارب نفسه وهواه ولكنه لا يطيع أمر الله في كل أو كثير مما أمر به فإن نفسه الأمانة بالسوء تكون هي المسيطرة على قواه الروحية ، ولذلك تتفعل الأشياء والأجسام وتظهر آثارها على هيئة أضرار تصيب هذه الأشياء (١) .

(١) كتاب مدخل إلى الطب الإسلامي (ص ١٥٧ - ١٦١) .

الحسد في ميزن العلم الحديث

يقول الدكتور عبد الرزاق نوفل في كتابه : « القرآن والعلم الحديث » ما نصه :

تقول سورة الفلق : ﴿ قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر خاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ (١).

إن الله سبحانه يوجه الرسول ﷺ لتعليم الناس الاستعاذة به جل شأنه من كل شر ، وأى شر . . . ، شر ما خلق ، من الإنسان والحيوان والنبات والهواء ، فلكل كائن جانب من الشر ، هذا الشر يتمثل فيما يصيب الإنسان من الضرر ، أى ضرر . والغاسق إذا وقب هو الليل إذا تَوَغَّلَ . وخطر الشر ما جاء فى سواد الليل ، حتى إن الشر نفسه يعظم خطره ويشتد أمره بالليل أكثر من النهار ، كالخريق والهدم والغرق يشتد أمره ويعظم خطبُه إذا كان ليلاً ، كما أن هناك أنواعاً من الشرور لا تصيب إلا فى الليل غالباً كالقتل والسرقة ، لذلك كان لابد من الاستعاذة بالله من هذا الشر .

وشر النفاثات فى العقد قُصِّرَتْ على أنها شرور السحر والسحرة ، وأن النفاثات هن الساحرات اللاتى ينفخن نفثاً فيه رذاذ من الفم فى عقد تُعقد لينعقد السحر .

أما الحاسد فهو الذى يتمنى زوال نعمة المحسود ، فهل له شر أخطر من مجرد التمنى ؟ ! .

إن القرآن جاء فى ذلك صريحاً ، فهو يقول : استعينوا بالله لا من الحاسد نفسه بل من شره ، وليس من شره فقط بل من شره إذا حسد ، فكان الحاسد ليس منه ضرر إلا إذا عمد إلى الشر (٢) ، وكان فى حسده إيجابياً .

ولم يظهر مدى عمق هذه الآية طيباً ونفسياً إلى أن كشف العلم عن الحسد

(١) الفلق : ١-٥ .

(٢) هناك أنواع من الحسد ليست ضارة كما ذكرناه فى موضع سابق من الكتاب .

والحساد وتأثير الحسد فى نفس الحاسد ، ودور الشر الذى يلعبه ، فجاء العلم ليفسر الآية ويستقيم معها .

يقول العالم البشرى والنفسى الدكتور « بيتر شتا نيكرون » إن الحسد أشبه بساحرة لها ثلاثة رءوس :

أحدها : الحسد . . ، أما الاثنان الآخران فهما : الحقد والغيرة . . ، وأينما استشعرت فى إنسان الحقد والغيرة فاعلم أن الحسد موجود فيه .

ويقول الدكتور « فيكتور بوشيه » إن الحسد والغيرة والحقد أقطاب ثلاثة لشيء واحد ، وإنها لآفات تنتج سموماً تضر بالصحة ، وتقضى على جانب كبير من الطاقة والحياة اللازمين للتفكير والعمل .

ضرر معنوى وآخر مادي :

فالحاقد : يظل طول وقته لا يفكر إلا فى النيل من الذى يحقد عليه ، فقد يكذب عنه . . ، وقد يتقول عنه ما لم يقله ، وقد يضر به ولا يهاب فى سبيل ذلك ما يفعل .

والغيور : وهو ذلك الذى تُعمى الغيرة بصره وبصيرته لا يرى فى لوحة أفقه إلا مَنْ يغار منه . . ، وهو لا يهدأ حتى يسلبه ما يغار منه بسببه ، سواء أكان عملاً أم مالا . . أم مركزاً .

والحاقد والغيور : - وهما صفتا الشخص الحاسد - الذى يعانى فى سبيل ذلك من المحن والألم ما يجعله يفكر فى التعجيل بالتنكيل بمن يحسده .

وإذا ما فقد هذا الحاسد جانباً من طاقته وحيويته ؛ اعتكف فى تفكيره ، وهذا الاعتلال فى التفكير يكون مرحلة من مراحل الجنون الذى لا يدرك فيها الإنسان ماذا يفعل ، ولذلك سمعنا كثيراً عن غيور قتل مَنْ يغار منه ، وعن حاقد أعماه الحقد فلم يجد إلا الحياة ينزعها ممن يحقد عليه .

أما الوشاية : التى يقوم بها الحاسد للإيقاع بالمحسود ، أما ترتيب الضرر الذى

يمضى الحاسد حياته فى تدعيم أركانه ضد المحسود ، فهو أقل الشرور التى تقع من الحاسد إذا حسد^(١) .

نتائج الدراسات العلمية للحسد :

وآخر ما أمكن للعلم أن يصل إليه فى هذا الشأن ما أعلنته الجامعات ومعاهد العلم من أن العين تخرج منها أشعة تستطيع التأثير عن بُعد فى الماديات ، فقد تمكنت فتاة فى روسيا أن تفصل صفار البيضة عن بياضها وهى فى وعاء وعن بُعد .

وتمكن أحد العلماء من متابعة فتاة أخرى استطاعت تحريك إبرة البوصلة فى اتجاهات مختلفة بمجرد توجيه النظر إليها .

والتجارب العلمية والعملية المماثلة عديدة ومتواترة ، وسيكشف المستقبل القريب عن القرار العلمى المسبب لذلك ، ولن يكون غير استخدام النظر فى العمل الإيجابى^(٢) (أى الحسد) .

وحديثاً أثبت علم «الرادىستيرية» أن الأجسام السليمة ينبعث منها أشعة مستقيمة لا عوج فيها ، وأنه فى حالة اعتلال الصحة تنفوس هذه الأشعة بحيث إذا جلس صحيح البدن بجوار المريض أثرت أشعة المريض المنقوسة على الأشعة المستقيمة للسليم بحيث تحنيها وتسبب له المرض .

ولقد أصبح للأشعة الحيوانية أو المغناطيسية الحيوانية كما يسمونها نظريات ثبت صحتها ، وأصبح لذوى الخبرة باستعمالها أفعال تبعث على الدهشة ، إذ قد تعرّض بعض علماء الغرب لهذه النظريات بتوسع وقالوا : إن بعض المعالجين فى الشرق (الصوفيون المسلمون) يستطيعون أن ينقلوا الأمراض إلى غيرهم . . . ، وهذا يبين مدى القوى الروحية التى يملكونها .

وقال هؤلاء الباحث : إن هؤلاء المعالجين عند رغبتهم فى أداء هذا العمل

(١) القرآن والعلم الحديث (ص ٢٨-٣١) .

(٢) المصدر السابق (ص ٣١) .

يفرغون عقولهم تفرغاً تاماً ثم يركزونها على تصور آلام المريض ، بحيث تنتج ظروفاً مماثلة لما يشكو منه المريض نفسه ، ثم يسحبون المرض خلال الأشعة المنبعثة من جسم المريض حيث يوجهونها كيف شاءوا (١).

وقد خطب الدكتور «ران» بجامعة «كورتل» فى مجمع تقدم العلوم الأمريكى بمدينة «سيراكوز» فقال : إنه قام بالتجارب العلمية الدقيقة ، فشبت له فيها أن العين البشرية إذا حدثت فى خلايا الخميرة فإن تلك الخلايا تتلف ؛ لأن أشعة خفية غير منظورة تنبعث منها وتؤثر فى الخلايا . . . ، كما تنبعث الأشعة فوق البنفسجية من بعض المصادر وتؤثر فى النبات والإنسان والحيوان على وجه معلوم (٢).

لقد تكلم العلماء فى عصرنا - كما سبق - عن أشعة غير مرئية تخرج من عين الحاسد فتصيب من يحسده ، وأثبتوا أن الإنسان فى حالاته إنما هو محصلة لعدة قوى وظروف ، ما يراه منها أو فيها أكثر مما يراه ، وهكذا ينهض الإنسان يوماً من نومه نشيطاً مرحاً سعيداً بلا سبب ظاهر ، وفى يوم آخر ينعكس ذلك دون سبب واضح له .

ومن عجب أن العلم يقرر أن وجود شيء ما قد لا يخطر بباله ، هو الذى أشاع حوله هذه الموجات المضطربة من الإحساسات التى تسبب الضيق والتبرم ، بل والمرضى (٣).

وهكذا يتمثل شر الحاسد إذا حسد فى شر معنوى وآخر مادى ، وهذا ما طلب الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ منه ، فلا شر للحاسد إلا إذا حسد . . . ، وهذه جوانب من شره التى تتساوى مع شرور الخلق ، وشرور ما يأتى به الليل إذا توغل ، والنعمة بين الأزواج والأهل .

(١) كتاب « حقيقة الإنسان » للدكتور عيسى عبده ، وأحمد إسماعيل يحيى ، ط . دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨١ ، (ص ٢٨١) الجزء الثانى .

(٢) المصدر السابق (ص ٢٧٩).

(٣) القرآن دواء فيه وقاية وفيه شفاء ، للدكتور عبد الرزاق نوفل (ص ١١٥).

وهكذا يضع التقدم العلمى فى علوم النفس تفسيراً علمياً لسورة الفلق ، ليثبت أن القرآن الكريم يسبق العلم فى كافة اتجاهاته ، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة ، فهو تنزيل من رب العالمين ، ووحىه إلى سيد المرسلين ^(١) .

ونحن مضطرون إلى أن نطامن من حلة النفى لما لا نعرف من أسرار هذا الوجود وأسرار النفس البشرية ، وأسرار هذا الجهاز الإنسانى .

وهناك وقائع كثيرة تصدر عن أسرار الجسم البشرية ولا نملك لها حتى اليوم تعليلاً .

فإذا حسد الحاسد ووجه انفعالا نفسياً معيناً إلى المحسود فلا سبيل لنفى أثر هذا التوجيه لمجرد أن ما لدينا من العلم وأدوات الاختيار لا تصل إلى سر هذا الأثر وكيفيته ، فنحن لا ندرى إلا القليل فى هذا الميدان ، وهذا القليل يكشف لنا عنه مصادقة فى الغالب ، ثم يستقر كحقيقة بعد ذلك . . . ، فهنا شر يستعاذ منه ويستجار منه بحماه ^(٢) .

ونحن نعتقد بصحة ما جاء به القرآن والسنة النبوية ونترك للعلم اجتهاداته وبحوثه ليؤكد صحة اعتقادنا بعد نحو من أربعة عشر قرناً من الاجتهاد الدءوب فى تفسير التنزيل الحكيم ، فإن اتفق العلماء مع الدين أصابوا ، وإن أخطئوا واختلفوا فمن قصور نظرياتهم ^(٣) .

(١) القرآن والعلم الحديث (ص ٣١) .

(٢) فى ظلال القرآن (١/٤٠٠٨) .

(٣) حقيقة الإنسان ، مرجع سابق (ص ٢٧٩) .

ماذا يجنى الحاسد من حسده ؟

اعلم أن الحاسد إن انقاد لهذا الطبع اللئيم ، وغلب عليه ذلك الخلق الذميم ، حتى ظهر حسده واشتد كملده ، فقد باء بأريع ملأماً :

الأولى : حسرات الحسد وسقام الجسد ، ثم لا يجد لحسرتة انتهاء ، ولا يؤمل لسقامه شفاء .

قال ابن المعتز : الحسد داء الجسد .

والثانية : انخفاض المنزل ، وانحطاط المرتبة ؛ لانحطاط الناس عنه ، ونفورهم منه .

وقد قيل في مثور الحكم : الحسود لا يسود .

والثالثة : مقت الناس له حتى لا يجد فيهم مُحباً ، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم ولياً ، فيصير بالعداوة مأثوراً ، وبالمقت مزجوراً ، ولذلك روى عنه عليه السلام أنه قال : « شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه » .

والرابعة : إسقاط الله تعالى في معارضته ، واجتناء الأوزار في مخالفته ، إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً ، ولا لنعمه من الناس أهلاً ^(١) .

قالوا : وليس شيء من الشر أضرَّ من الحسد لأنه يصلُّ إلى الحاسد خمس عقوبات ، قبل أن يصل إلى المحسود مكروه :

أولها : غم لا ينقطع .

والثانية : مصيبة لا يُؤجر عليها .

والثالثة : مذمة لا يُحمد عليها .

والرابعة : يسخط عليه الرب .

والخامسة : تُغلق عليه أبواب التوفيق .

(١) أدب الدنيا والدين (ص ٢٨٠) .

أثر الحسد في المجتمع

الحسد داء الأمم كما أخبر الصادق المصدوق عليه السلام : « دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء » الحديث (١).

وما ظهر مرض الحسد في أمة إلا تفرقت وصارت أحزابا وشيعا حتى يذهب مجدها ، ويضعف جندها ، بظهور الحسد وانتشار الحاسدين والمتنافسين ، وبظهور هؤلاء ينتشر معهم الكيد والحقد والبغضاء .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « سيصيب أمتي داء الأمم » .

قالوا : وما داء الأمم يا رسول الله ؟

قال : « الأثر (٢) ، والبطر (٣) ، والتكاثر (٤) ، والتنافس ، والتباغض ، والتحاسد ، حتى يكون البغى » (٥).

ودعونا نتصور أن مرض الحسد قد عمّ ، وبدأ كل حاسد يكيد لكل ذي نعمة ، عندئذ يعم الكيد ولا يسلم من شروره أحد ؛ لأن كل إنسان كائد ومكيد .

تصوروا الحياة البشرية كيف تكون عندئذ ! .

لقد قامت النظرية الماركسية على الحسد ، فأحدثت صراع الطبقات ، ولولا سلطان الدولة في البلدان الماركسية ، وقوة أجهزة المخابرات ؛ لحدثت متوالية هندسية من الصراع بسبب مرض الحسد ، ومن ههنا كان الحسد مُدْعِماً للحياة البشرية ؛ لأنها لا تقوم به ، وكما أن الحياة البشرية مُعرَّضة للزوال بسبب الحسد فإن أي مجموعة وأي جماعة معرضة للتفكك بسبب الحسد .

والحسد والتفكك والتفرق هو السدى أهلك أهل الأديان من قبل ، وهو الذي

(١) تقدم تخريجه في (ص ٢٧) .

(٢) الأثر : كثر النعمة .

(٣) البطر : الطغيان عند النعمة وكثرة الغنى .

(٤) التكاثر : جمع المال .

(٥) تقدم تخريجه في (ص ٣٤) .

يُمكن أن يهلك هذه الأمة ، قال تعالى : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ (١) . . . (٢) .

حكم الحاسد وواجب الحاكم نحوه

قال القاضي عياض رحمه الله : قال بعض العلماء : ينبغي إذا عُرف واحد بالإصابة بالعين - أى أنه يصيب الناس بعينه - أن يُجتنب ويُحترز منه ، وينبغي للإمام منعه من مُداخلة الناس ، ويُكزّمه بلزوم بيته ، وإن كان فقيراً رزقه ما يكفيه ، فضرره أكثر من أكل الثوم والبصل الذي منعه النبي ﷺ من دخول المسجد لثلاثي يوذى الناس ، ومن ضرر المجذوم الذي منعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣) .

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله : وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء : إن من عُرف بذلك - يعنى بأنه يصيب الناس بعينه - حبسه الإمام وأجرى له ما يتفق عليه إلى الموت ، وهذا هو الصواب قطعاً (٤) .

ونقل ابن بطال عن بعض أهل العلم : أنه ينبغي للإمام منع العائن إذا عُرف بذلك من مداخلة الناس ، وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به ، فإن ضرره أشد من ضرر المجذوم الذي أمر عمر بن الخطاب بمنعه من مخالطة الناس ، وأشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع أكله من حضور الجماعة (٥) .

قال النووي : هذا القول صحيح متعين ، ولا يُعرف من غيره تصريح بخلافه (٦) .

(١) الشورى : ١٤ .

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس ، سعيد حوى (ص ١٧٤ ، ١٧٥) .

(٣) حمة القارئ (٤٠٥ / ١٧) .

(٤) زاد المعاد (١١٨ / ٣) .

(٥) فتح الباري (٢١٦ / ١٠) شرح النووي (١٧٣ / ١٤) ، نيل الأوطار (٢١٧ / ٨) .

(٦) السابق . . . ، انظر أيضاً تفسير القرطبي (١٤٨ / ٩) .

القصاص من العائن :

وقد اختلف في القصاص من العائن .

قال القرطبي : لو أُلِف العائن شيئاً ضمنه ، ولو قتل فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة ، وهو في ذلك كالساحر .

قال الحافظ بن حجر في « الفتح » ولم تتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعه ، وقالوا : إنه لا يقتل غالباً ولا يُعد مهلكاً .

وقال النووي في « الروضة » : ولا دية ولا كفارة ؛ لأن الحكم إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس في بعض الأحوال مما لا انضباط له ، كيف ولم يقع منه فعل أصلاً ١٢ ، وإنما غايته حسد وتمنُّ لزوال نعمة ، وأيضاً فالذي ينشأ عن الإصابة حصول مكروه لذلك الشخص ، ولا يتعين المكروه في زوال الحياة - يعني الموت - فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين (١) .

(١) فتح الباري (١٠ / ٢١٥ ، ٢١٦) نيل الأوطار (٨ / ٢١٧) .

الفصل العاشر

حسد الجن للإنس !

- ★ هل الجن تحسد الإنس ؟ .
- ★ ما دليل ذلك من السنة ؟ .
- ★ الوقاية من حسد الجن .. كيف ؟ .

حسد الجن للإنس

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : كان رسل الله ﷺ يتعوذ من أعين الجن وأعين الإنس ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما (١). ولولا أن الجن تصيب الإنسان بالعين لما تعوذ النبي ﷺ من أعينهم .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال : « استرقوا لها فإن بها النظرة » (٢).

قال الحسين بن مسعود الفراء (البغوى) : وقوله «سفعة» أى نظرة يعنى من الجن ، يقول : بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسنة الرماح (٣).

وقال ابن قرقول : النَّظْرَةُ بفتح النون وسكون الظاء : أى عين من نظر الجن (٤).

وقال أبو عبيد : أى أن الشيطان أصابها (٥).

وقيل : أخذه من الشيطان (٦).

قال الخطايى : عيون الجن أنفذ من الأسنة .

ولما مات سعد بن عبادة سُمع قائل من الجن يقول :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهم فلم يُخطِ قواده

قال : فتأولّه بعضهم : أى أصبناه بعين (٧).

ويؤيد هذا حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » (٨).

(١) تقلم تخريجه فى (ص ٣٢).

(٢) تقلم تخريجه فى (ص ٣٢).

(٣) شرح السنة (١٦٣/١٢) ، زاد المعاد (١١٧/٣) ، آكام المرجان (ص ١١٧).

(٤) ، (٥) عمدة القارى (٤٠٤/١٧).

(٦) شرح الثورى (١٨٥/١٤).

(٧) عمدة القارى (٤٠٤/١٧) ، العظمة (١١٣٠) ؛ آكام المرجان (ص ١٥٢) ، لقط للمرجان (ص ١٤٠).

(٨) تقلم تخريجه فى (ص ٣٢).

قال ابن القيم : العين عيتان : عين إنسية ، وعين جنية ^(١) .

الوقاية من حسد الجن .. كيف ؟

في حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا وضعوا ثيابهم أن يقولوا : باسم الله » ^(٢) .

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكتيف أن يقول : باسم الله » ^(٣) .

في الحديثين السابقين دليل أيضاً على وقوع الحسد من الجن للإنس .. ، فإذا أردت أن تطرح ثيابك لتبديلها أو للاستحمام فاذكر اسم الله واستعذ به من الشيطان الرجيم ، وكذلك عند دخولك لقضاء الحاجة في الخلاء ، ولا يصح أن تستعذ بالله أو تذكر اسمه داخل الخلاء أو أماكن النجاسات ، إنما الاستعاذة والبسملة تكون قبل دخولك لمثل هذه الأماكن .

أما إذا دخلت ونسيت أن يذكر الله وتتعوذ ؛ فاذكره في قلبك ولا تحرك لسانك بالذكر تنزيها لاسم الله أن يذكر في مثل هذه الأماكن .

قال النووي : والذكر والكلام مكروه حال قضاء الحاجة ، سواء كان في الصحراء أو في البنيان ، وسواء في ذلك جميع الأذكار والكلام ، إلا كلام الضرورة ، حتى قال بعض أصحابنا : إذا عطس لا يحمد الله تعالى ، ولا يُسَمِّتَ عاطساً ، ولا يرد السلام ، ولا يجيب المؤذن ، ويكون المسلم مقصراً لا يستحق جواباً ، والكلام بهذا كله مكروه ، كراهة تنزيه ، ولا يحرم ، فإن عطس فحمد الله تعالى بقلبه ولم يحرك لسانه فلا بأس ، وكذلك يفعل حال الجماع ^(٤) .

(١) زاد المعاد (٣/١١٧) .

(٢) روله الطبراني في الأوسط ، انظر مجمع الزوائد (١/٢٠٥) ، وأبو الشيخ في العظمة (١١٢٤) ، وابن السني (٢٧٥) ، انظر صحيح الجامع (٤/٣٦٠) .

(٣) الترمذي (٦٠٦) ، وابن ماجه (٢٩٧) ، وأبو الشيخ في العظمة (١١٢٦) ، والحديث صحيح لغيره وله شواهد يراجع فيها إرواء الغليل (١/٨٨ ، ٩٠) .

(٤) الأذكار للنووي (ص ٢٨) .

الفصل الحادى عشر

**الوقاية من الحسد ، والتحصن منه
قبل وقوعه ، وكيفية علاج المحسود**

★ الوقاية من الحسد .. كيف ؟ .

★ كيف نتحصن من الحسد قبل وقوعه ؟ .

★ كيفية علاج المحسود .

★ أمور مهمة تتعلق بعلاج المحسود .

الوقاية من الحسد عموماً .. كيف ؟

١- قراءة التحصينات القرآنية والنبوية :

قال ابن قيم الجوزية رحمة الله عليه : اعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله ، وتمنع من وقوعه ، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضرًا وإن كان مؤذياً ، والأدوية الطبيعية تنفع بعد حصول الداء ، والتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب ، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها ، بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه ، فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة وإزالة المرض ^(١).

فالتعوذات القرآنية والنبوية تستخدم في آن واحد كوقاية من الحسد ، وكعلاج منه إذا وقع فعلاً .

٢- الدعاء بالبركة إذا رأى المرء ما يعجبه :

عن سعيد بن حكيم قال : كان النبي ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال : « اللهم بارك فيه ولا تضره » ^(٢).

ولما حسدَ عامرُ بن ربيعة سهلاً بن حنيف قال له النبي ﷺ : « إذا رأى أحدكم من نفسه وماله وأخيه ما يعجبه فليدعُ بالبركة » ^(٣).

والتبريك أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين ، أو : اللهم بارك فيه ولا تضره ^(٤).

٣- ستر محاسن من يُخشى عليه الإصابة بالعين :

ذكر البغوي في كتاب : « شرح السنة » أن عثمان بن عفان رضى الله عنه رأى صبياً مليحاً ، فقال : « دَسُّمُوا نوتته لئلا تصيبه العين » .

(١) زاد المعاد (٣/ ١٢٢) .

(٢) ابن السني (٢٠٨) ، بسند ضعيف .

(٣) تقدم تخريجه في (ص ٣٤) .

(٤) عمدة القاري (١٧/ ٤٠٤ ، ٤٠٥) .

ثم قال في تفسيره : ومعنى «دَسَمُوا نَوْنَهُ» ، أى سَوَّدُوا نَوْنَهُ . . ، والنونة النقرة التى تكون فى ذقن الصبى الصغير^(١) .

وقال الخطابى فى « غريب الحديث » له : عن عثمان أنه رأى صبيا تأخذه العين فقال : دَسَمُوا نَوْنَهُ . . ، قال أبو عمرو : سألت أحمد بن يحيى عنه فقال : أراد بالنونة : النقرة التى فى ذقنه ، والتدسيم : التسويد . . ، أراد : سَوَّدُوا ذلك الموضع من ذقنه ليرد العين .

قال : ومن هذا حديث عائشة أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم وعلى رأسه عمامة دسما^(٢) أى سوداء ، أراد الاستشهاد على اللفظة .

ومن هذا أخذ الشاعر قوله :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقه من العين^(٣)

قلت : أين المسلمات اليوم من ستر محاسنهن عن نظرات الذئاب الآدمية وسمومها ، ما أحوجنا اليوم إلى ما يستر المحاسن ، وليس هو إلا الحجاب الشرعى ، خاصة بعد انتشار العرى والفجور ، وتعرية الصدور ، وانكشاف الشعور ، وضيق الخصور ! ، وإلى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(١) شرح السنة للبخارى (١٢/١٦٦) ، زاد المعاد (٣/١٢٠) .

(٢) وهذا أيضا فى حديث عن ابن عباس عند البخارى (٩٢٧) ، وأحمد (١/٢٣٣) .

(٣) زاد المعاد (٣/١٢٠) ، انظر لسان العرب (٤٥٨٨) .

كيف تتحصن من الحسد قبل وقوعه ؟

هناك العديد من التحصينات القرآنية والنبوية وتُستخدم في التحصن من الحسد قبل وقوعه بالإنسان ، وتفيد هي نفسها كرقية تستخدم لرقية وعلاج المحسود بعد إصابته بالحسد .

وقد عَلَّمَنَا المعصوم عليه السلام في حديثه رُقَى وتعوذاتٍ وتحصينات عديدة تنفع - بفضل الله تبارك وتعالى وإذنه - في علاج الحسد والشفاء منه ، وتنفع أيضاً في التَّحَصُّن منه قبل وقوعه .

وقد خَصَّصْتُ الفصل الثالث عشر - وهو الفصل الأخير من كتابنا هذا - لِذِكْرِ هذه الرُقَى والتحصينات والحمد لله رب العالمين على توفيقه وعونه ، والحمد لله على ما مَنَّ به علينا من نعمه العظيمة ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد النبي صلى الله عليه وآله معلِّم الإنسانية الخير .

قال ابن القيم: وَمَنْ جَرَّبَ هذه الدعوات والْعُوذَ عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة إليها ، وهي تمنع وصول أثر العائن ، وتدفعه بعد وصوله ، بحسب قوة إيمان قائلها وقوة نفسه ، واستعداده ، وقوة توكله ، وثبات قلبه ، فإنها سلاح ، والسلاح بِضَارِيهِ ^(١) .

قال : « واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله ، وتمنع من وقوعه ، وإن وقع لم يقع وقوعاً مُضِراً وإن كان مؤذياً ، والأدوية الطبيعية تنفع بعد حصول الداء ، والتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب ، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها ، بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه ، فالرُقَى والْعُوذُ تُستعمل لحفظ الصحة وإزالة المرض ^(٢) . .

وقد ذكرنا لك فيما مرَّ في أول هذا الفصل من الكتاب - أعنى الفصل الحادى عشر - كيف نتقى الحسد قبل وقوعه ، وهناك أمور مهمة فارجع إليها إن شئت غير مأمور .

(١) زاد المعاد (٣/١١٩) .

(٢) السابق (٣/١٢٢) .

كيفية علاج المحسود؟

١- يرقى المحسود نفسه بالرقى القرآنية والنبوية صباحاً ومساءً (بعد صلاتي الصبح والمغرب) ولمدة ثلاثة أيام ، وهذا ينفع - بفضل الله وإذنه في علاج كل أنواع الحسد ، وقد ذكرت لك فضلاً في آخر كتابنا هذا - وهو الفصل الثالث عشر منه - وبه جملة من الرقى الشرعية للموقاية والعلاج معاً ، والله المستعان .

٢- يغتسل المحسود بماء غُسل الحاسد . . ، وإنما تستخدم هذه الطريقة إذا عرفنا الحاسد على وجه التعيين والتحديد . . ، وإلا فالطريقة السابقة تكفى .

وفي الحديث : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ، وإذا استغسلتم^(١) فاغسلوا »^(٢) .

وقد ذكرنا في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ دعا عامر بن ربيعة لما حَسَدَ سهلاً وقال له : « اغتسل له »^(٣) .

وأحسن شيء في تفسير الاغتسال ما وصفه الزهري قال : يؤتى قدح من ماء ثم يَصُبُّ الحاسد بيده اليسرى على كفه اليمنى ، ثم بكفه اليمنى على كفه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى فيصعب بها على مرفق يده اليمنى ، ثم بيده اليمنى على مرفق يده اليسرى ، ثم يغسل قدمه اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى فيغسل قدمه اليسرى ، ثم يدخل يده اليمنى فيغسل الركبتين ، ثم يأخذ داخلة إزاره^(٤) فيُصَبُّ على رأسه - أى على رأس المحسود - صبة واحدة ولا يضع القدح حتى يفرغ ، وأن يُصَبُّ من خلفه صبة واحدة يجرى على جسده ، ولا يوضع القدح في الأرض أثناء الاغتسال ، ويغسل أطرافه وركبتيه وداخلة إزاره في القدح^(٥) .

(١) أى إذا طلب من الحاسد الغُسل للمحسود فلا يمتنع من ذلك .

(٢) تقدم تخريجه في (ص ٣١) .

(٣) تقدم تخريجه في (ص ٣٣) .

(٤) هو الطرف المتدلى من ثوبه بالذى يلي حقه الأيمن .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى (٦/١٦٣) ، فتح البارى (١٠/٢١٥) ، شرح النووي (١٤/١٧٢) ، مجمع الزوائد

(٥/١٠٨) بسند صحيح ، سنن البيهقى (٩/٢٥٢) .

وفى رواية لحادثة إصابة سهل بن حنيف بعين عامر بن ربيعة أن النبي ﷺ رقى سهلاً برقية شريفة هي : « اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها »^(١) . . . ويمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ﷺ رقى المحسود بهذه الرقية ، ثم أمر الحاسد بالاغتسال له وصب ماء الغسل على المحسود ، والله أعلم .

٣- يغتسل المحسود بالماء المقروء عليه الأدعية والرقى الشرعية ويشرب منه^(٢) (ويكرر الاغتسال والشرب لمدة أسبوع بواقع مرة كل يوم) .

رقى عجيبة فى علاج الحسد :

١- قَدَّمْنَا لَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَقَى سَهْلَ بْنَ حَنْفٍ لَمَّا حَسَدَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ قَائِلًا : « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ حَرَّهَا وَبَرْدَهَا وَوَصْبَهَا »^(٣) .

٢- عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتما ، فقال : يا محمد ما هذا الغم الذى آراه فى وجهك ؟ ، قال : الحسن والحسين أصابتهما عين ، قال : صدق بالعين فإن العين حق ، أفلا عوذتُهما بهؤلاء الكلمات ؟ ، قال : وما هن يا جبريل ؟ ، قال : قل اللهم ذا السلطان العظيم ، والمن القديم ، ذا الوجه الكريم ، ولى الكلمات التامات ، والدعوات المستجابات ، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس . . فقالها رسول الله ﷺ فقاما يلعبان بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « عَوِّذُوا أَنْفُسَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ بِهَذَا التَّعْوِذِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَوَّذِ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِ »^(٤) .

(١) تقدم تخريجه فى (ص ٣٤) .

(٢) يجوز الاغتسال بالماء المقروء عليه الآيات والأدعية ، وقد ثبت نحو هذا عن النبي فى سنن أبى داود (٣٨٨٥) وصحيح ابن حبان (٦٠٣٧) وعن وهب بن منبه فى تفسير القرطبي (٣٥/٢) ، وتفسير ابن كثير (١٤٨/١) ، وفتح البارى (٢٤٤/١٠) ، وعمدة القارى (٤٢٥/١٧) ، وحاشية ابن عابدين (٤٩٦/٣) ، ومصنف عبد الرزاق (رقم ١٩٧٦٣) ، فتح للجيد (٣١٢-٣١٤) . . . وينحوه فى تفسير ابن كثير (٢٤٧/٢) ، والقرطبي (٢٠٥/١٠) عن ليث بن أبى سليم .

(٣) تقدم تخريجه فى (ص ٣٤) .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٤١١/٤) وعزاه لابن عساكر ثم نقل عن الخطيب البغدادي قوله : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطلى .

٣- ومن الرُّقى التي تَرُدُّ العين ما ذُكر عن أبي عبد الله الساجي - وكان مجاب الدعوة وله آيات وكرامات - أنه بينما كان في بعض أسفاره للحج - أو للغزو - على ناقة فارهة ^(١) وكان في الرفقة رجل عائن فما نظر إلى شيء إلا أتلفه وأسقطه ! ، فقبل لأبي عبد الله : احفظ ناقتك من العائن ، فقال : ليس له إلى ناقتي سبيل . . . ، فَأَخْبِرَ العائن بقوله ، فَتَحَيَّنَ غِيبة أبي عبد الله ، فجاء إلى رَحْلِهِ ، فنظر إلى الناقة فاضطربت وسقطت ، فجاء أبو عبد الله فقيل له : إن هذا العائن قد عان ناقتك وهي كما تراها تضطرب ، فقال : دُلُّوني عليه . فدلَّ عليه ، فوقف عليه وقال : باسم الله حبس حابس ، وحجر يابس ، وشهاب قابس ، رَدَدْتُ عَيْنَ العائن عليه وعلى أحبِّ الناس إليه ، في كلوتيه وشيقي ، وفي ماله يليق ، ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ * ثم ارجع البصر كَرَّتَيْنِ ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴿ ^(٢) ، فخرجت حدقنا العائن ، وقامت الناقة لا بأس بها ^(٣) .

(١) أي تشيطة حادة قوية .

(٢) الملوك : ٣-٤ .

(٣) حلية الأولياء (٩/ ٣١٦-٣١٧) ، زاد المعاد (٣/ ١٢٠) .

أربعة أمور مهمة تتعلق بعلاج المحسود

١ - مشروعية رقية المحسود :

في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : أمرني رسول الله ﷺ -
وأمر - أن يُسترقى من العين ^(١).

وفي حديث أنس بن مالك : قال : رخص رسول الله ﷺ في الرقية من
العين ^(٢).

وفي حديث جابر أن النبي ﷺ سأل أسماء بنت عميس عن أولادها : « مالي
أرى أجسام بني أخي ضارعة - يعني نحيفة - تصيبهم الحاجة ؟ » قالت : لا ،
ولكن العين تسرع إليهم ، فقال ﷺ : « ارقئهم » ^(٣).

٢ - شروط الرقي :

إذن ثبت جواز رقيه المحسود ، وإن هذا مما أباحه الشرع ، لكن لا يُرقى
المحسود ولا غيره من المرضى إلا بالرقى المشروعة ، وقد أجمع أهل العلم على أن
الرقية يجب أن تتوفر فيها ثلاثة شروط هي :

١ - إن تكون بكلام الله تبارك وتعالى أو اسمائه وصفاته .

٢ - أن تكون باللغة العربية أو بما يُعرف معناه من غيرها .

٣ - ألا يعتقد الرقي أن الرقية تؤثر بذاتها ، بل بإرادة الله تبارك وتعالى
ويأذنه ، والله وحده هو الشافي ، والرقية سبب من الأسباب ^(٤).

وأضاف بعض أهل العلم من المعاصرين ^(٥) شروطاً أخرى إلى تلك الثلاثة
السابقة ؛ لا تقل أهمية عنها ، وهي :

(١) البخاري (٥٧٣٨) ، ومسلم (٢١٩٥) ، وابن ماجه (٣٥١٢) ، وأحمد (٦٣/٦ ، ١٣٨).

(٢) تقدم تخريجه في (ص ٣١).

(٣) تقدم تخريجه في (ص ٣٤).

(٤) انظر كتاب «العلاج الرباني للسحر واللس الشيطاني» - الجزء الأول والجزء الثاني معاً - للمؤلف (ص ١١٨).

(٥) الدكتور علي بن نقيع العلياني في كتابه «الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص ٥٩-٧٤).

١- ألا تكون الرقية شركية أو سحرية ؛ لقوله ﷺ « لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك » (١) .

٢- ألا تكون الرقية من عراف أو ساحر أو كاهن ؛ لنهي ﷺ على إتيان هؤلاء بقوله : « من أتى عراقاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » (٢) ، وفي رواية أخرى : « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » (٣) .

٣- ألا تكون الرقية بهيئة مُحَرَّمَةٍ كَلَنَ، يَتَقَصَّدُ الرقية حالة كونه جنباً أو في مقبرة أو حمام ، أو يكتبها مُفَرَّقة أو مُقَطَّعة أو حال نظره في النجوم أو تَلَطُّخه بالنجاسات أو كشف عورته ، أو غير ذلك من الأحوال التي يشترطها السحرة في رُقَاهُمْ .

٤- ألا تكون الرقية بعبارات مُحَرَّمَةٍ كالسب والشتن واللعن لأن الله تبارك وتعالى لم يجعل دواءً في المُحَرَّمَات كما قال ﷺ « تداووا ولا تداووا بحرام » (٤) .

٣- لا يجوز شرعاً تعليق التماائم والأحجبة ونحوها للوقاية من الحسد :

اعتاد الكثيرون والكثيرات من جهلة هذه الأمة تعليق خرزات زرقاء أو أجراس وأحذية صغيرة أو أحجبة وتماائم مختلفة الأشكال والأنواع أو عظام وقرون الحيوانات أو غير ذلك ، ويتم تعليق هذه الأشياء على الأشخاص وعلى المنازل والممتلكات والدواب والسيارات ، يزعمون أن ذلك يدفع الحسد والعين ، وهذا غير جائز شرعاً ، ونهى عنه النبي ﷺ في أحاديث صحيحة كثيرة .

وهذه الأشياء جميعها إنما هي من جنس التماائم المنهى عنها في صحيح حديث رسول الله ﷺ .

ففي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله

(١) رواه مسلم (٢٢٠٠) ، وأبو داود (٣٨٨٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٠) ، وأحمد (٦٨/٤) ، (٣٨٠/٥) .

(٣) أحمد (٤٠٨/٢ ، ٤٢٩ ، ٤٧٦) ، وأبو داود (٣٩٠٤) ، والترمذي (١٣٥) ، وابن ماجه (٦٣٩) والدارمي ،

(١١٣٦) ، والحاكم (٨/١) بنحوه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣/٥-٢٢٤) .

(٤) رواه أبو داود (٣٨٧٤) بسند حسن .

ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولا ألا يقيين في رقبة بغير قلادة من وتر - أو قلادة - إلا قُطعت (١) .

فقد كان أهل الجاهلية يُعلّقون أوتاراً على الدواب اعتقاداً منهم أنها تدفع العين عن الدابة (٢) .

وفي الفتوى رقم (٤٣٩٣) الصادرة عن اللجنة الدائمة للإفتاء بالملكة العربية السعودية بتاريخ ١٤٠٢/٥/٢٠ هـ قال السائل : هل يجوز تعليق الحجاب (الحرز) على المريض وقد كُتب فيه أدعية نبوية شريفة مع شيء من القرآن الكريم ، وكُتب معها توسل بالأولياء ومن الصحابة والصالحين ، وكُتب فيه أيضاً كلام غير مفهوم بلغة العرب ، ورسم فيه بعض النجوم أو تعليق أسماء النبي ﷺ .

فأجابت اللجنة : لا يجوز تعليق هذا الحجاب على شخص أو وضعه في ثياب أو فراش أو بيت جلباً لمنفعة أو دفعاً لضرر ، وهو من جنس التمايم واتخاذها شرك . أ . هـ .

وفي الحديث : « مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ » (٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم : « أن حذيفة دخل على مريض فرأى في عضده سيراً فقطعه - أو اتزعه - ثم قال : ﴿ وما يؤمن أكثركم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (٤) » (٥) .

وهذا يدل على أن التمايم والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يُعلّقه الجهال شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل وإن لم يأذن صاحبه (٦) .

(١) البخاري (٣٠٠٥) ، ومسلم (٢١١٥) ، وأبو داود (٢٥٥٢) ، ومالك في الموطأ (ص ٩٣٧) وأحمد (٢١٦/٥) .

(٢) فتح الباري (١٦٤/٦) ، التروى (٩٥/١٤) ، فتح المجيد (١٣٥-١٣٠) .

(٣) رواه أحمد (١٥٦/٤) ، والطبراني ورجال أحمد ثقات كما في مجمع الزوائد (١٠٣/٥) .

(٤) يوسف : ١٠٦ .

(٥) فتح المجيد (١٢٧-١٢٨) .

(٦) للمصدر السابق .

التمائم من القرآن :

وقد كره بعض الصحابة تعليق التمام من القرآن .. ، وأجازوه بعضهم .. ،
والذى أراه منع تعليق المصحف أو آيات منه للأسباب الآتية :-

أولا : عموم النهى عن تعليق التمام ، والأحاديث لم تَسْتَنْ شَيْئاً منها .

ثانياً : سد الذريعة فإن الترخيص فى تعليق التمام من القرآن يفتح الباب
لتعليق غيرها .

ثالثاً : أن هذا يُعَرِّض القرآن للامتهان ، حيث يحمله الجنب والحائض
والنفساء ، كما يعرضه لأن يُحمل وقت قضاء الحاجة وفى الأماكن النجسة
كالحمّامات (١) .

٤- لا يجوز التَّبَخُّرُ بالأعشاب والأوراق والبخور للعلاج من العين :

وفى الفتوى المذكورة سابقاً سُلِّتَ اللجنة الدائمة للإفتاء : هل يجوز التَّبَخُّرُ
بالشِب أو الأعشاب أو الأوراق وذلك من الإصابة بالعين ؟

وأجابت اللجنة : لا يجوز علاج الإصابة بالعين بما ذُكر ، أنها ليست من
الأسباب العادية لعلاجها ، وقد يكون المقصود بهذا التبخر استرضاء شياطين الجن
والاستعانة بهم على الشفاء .

(١) وافق بهذا التعليل - أى منع تعليق التمام من القرآن - أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فى
المملكة العربية السعودية فى الفتوى رقم (٩٩٢) بتاريخ ١٣٩٥/٤/٤ هـ ، وكذا فى الفتوى رقم (١٥٤٥) ،
ورقم (٣٠٤٠) .

الفصل الثانى عشر
حوادث مشهورة عن الإصابة
بالعين

★ إصابة سهل بن حنيف رضى الله عنه بالحسد

فسقط صريعا.

★ امرأة تحسد سعد بن أبى وقاص رضى الله

عنه .

★ الشيخ أحمد القطان يحكى عن إصابته بعين.

★ حوادث أخرى.

حوادث مشهورة عن الإصابة بالعين

* قدمنا لك ما ثبت أن عامر بن ربيعة أصاب سهلاً بن حنيف رضى الله عنهما بعينه فسقط صريعاً^(١).

* وركب سعد بن أبي وقاص يوماً ، فنظرت إليه امرأة فقالت : إن أميركم هذا ليعلم أنه أهضم الكشحين^(٢) فرجع إلى منزله فسقط ، فبلغه ما قالت المرأة ، فأرسل إليها فغسلت له^(٣).

* وفي خطبة للشيخ أحمد القطان كان يتحدث فيها عن الجن والحسد قال : قبل أحد مواسم الحج بثلاثة أشهر أصبت باختفاء صوتي ، وبالأخص عندما أعد خطبة الجمعة ، وأذهب للصعود على المنبر ، وكان هناك من يخنقني من الداخل ، فيذهب الصوت ويختفي .

وكنت أحضر معي بعض الأدوية والمنبهات وأشربها قبل أن أصعد المنبر وأعالج نفسي حتى أنتهى من الخطبة بصعوبة جداً إلى أن اختفى الصوت تماماً فأصبحت أخاطب الناس بالإشارة ، فقال لي بعض الناس : لعلها من كثرة الدروس والمحاضرات فأعطت نفسك راحة ، فانقطعت عن الخطب وعن الدروس وعن المحاضرات وسافرت إلى تركيا للراحة والاستجمام ، ولكن لم يعد الصوت بل إنني كلما ازددت راحة زاد اختفاء .

إلى أن عرضت نفسي على الأطباء هنا وهناك وكلهم يقولون بعد الفحص : ما نرى شيئاً ، وشربت من الأدوية أشكالا وألواناً فلم يؤثر .

وفي الحج قلت ليس لها إلا الله ، والتقيت بمئات الأخوة في الحج وأرغموني على أن أقول درساً ، قلت لهم : لا أستطيع . فكل كلمة لا بد أن أشرب معها

(١) وهذا في أحاديث صحيحة وقد تقدم ذكرها وتخرجها في الهامش (٨٦، ٧٩) فارجع إليها هناك إن شئت غير مأمور .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع . . . والمعنى أنه دقيق الخصرين . . . [لسان العرب (ص : ٢٨٨٠)] .

(٣) تفسير القرطبي (١٤٨/٩) .

الماء . . . ، قالوا : اشرب ووضعوا الماء أمامي ، فإذا قلت : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾
أشربُ ماءً . . . ، وإذا قلت ﴿الرحمن الرحيم﴾ أشربُ ماءً . . . ، وهكذا . . . ،
والصوت لا يكاد يُسمع إلّا أ همس همسا .

فلما رأوا حالي هكذا حزنوا وتأثروا وعاهدوني على أنهم في عرفات يستغيثون
الله ويدعونه أن يشفيني ، وفي عرفات ألحّ الأخوة بالدعاء .

ولما عدتُ بعد الحج ، وإذا بأخ يأتي فيقول : هناك امرأة في الجامعة كانت
تحفظ سورة غافر وسورة يس ، وتحفظ القرآن كله ، ثم أصبحت وقد نسيّت سورة
غافر ، وسورة يس فجأة !! ، وأصبحت تقرأ القرآن ولا تفهم منه كلمة واحدة ،
فَتَعَالَ فانظر في حالها !! . . . ، فقلت : إن شاء الله .

فلما جاء اليوم التالي جاء نفس الشخص وقال : هناك خبر آخر ، قلت : وما
هو ؟ . . . ، قال : تبين أن هذه المرأة يلتبسها بين الحين والحين شيء لا تدري ما
هو ، ثم إنه جاءها في المنام ، فقال لها أنا من الجن !^(١) وأنا الذي فيك وخبري به^(٢)
أنه مصاب بالعين (محسود) فليرق نفسه .

ومن هنا بدأت أفتح الكتب مثل « زاد المعاد » وكتب ابن تيمية وكتاب عمر
الأشقر « عالم الجن والشياطين » فعثرت على أحاديث وآيات لعلاج العين ، والعين
حق ، وبدأت أقرأ ، وبعد الحج بأسبوع عاد الصوت كما كان بفضل الله ومُنَّته ،
وحوله وقوته ، بل عاد أقوى مما كان . . . ، فقد كنتُ في الدرس الواحد أو الخطبة
عندما أبدأ في أوله يكون الصوت قويا ، ولكن إذا انتصفت أو جئتُ في آخره يكون
الصوت ضعيفا أو واهيا ومبحوحا ، أما الآن فإنني بفضل الله لو استمر درسي إلى

(١) تلبس الجن بالإنسان صحيح . . . ، وقد تناولت ذلك بالتفصيل في كتابي « العلاج الريائي للسحر والمس
الشيطاني » وذكرت كيفية علاجه . . . ، وكذلك في كتابي « مس الجن للإنسان بين العلم والقرآن » . . . كما
صدرت طبعة جديدة من كتاب « العلاج الريائي للسحر والمس الشيطاني » تضم الجزء الأول والجزء الثاني منه
معًا تتناول كل ما استجد في وضعه . والحمد لله على توقيقه .

(٢) أي تخبر الشيخ أحمد القطان .

الصباح فالصوت يحتفظ بقوته بفضل الله ورحمته (١).

حوادث أخرى :

* قال ابن السائب : كان فى المشركين رجل يمكث اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه ، فتمر به الغنم فيقول : لم أرَ كالיום إبلا ولا غنما أحسن من هذه ، فما تذهب إلا قريبا حتى يسقط منها عدة (٢).

* وكتب أخونا الشيخ وحيد عبد السلام بالى - وفقه الله تعالى (٣) قال : كان صبيا فصيحاً بليغاً نجيباً بارزاً بين زملائه فى المرحلة المتوسطة ، يتكلم باسمهم فى المناسبات ويتحدث إلى الناس فى الحفلات . . ، وفى يوم من الأيام توفى أحد أبناء قريته ، فذهب هذا الصبى مع قبيلته للعزاء ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثملقى على الناس موعظة بليغة ، فما أمسى تلك الليلة إلا أبكم لا يتكلم ، فجزع أبوه ، وذهب به إلى المستشفى ، وقام الأطباء بإجراء التحليلات والأشعات اللازمة ، ولكن دون جدوى ، فجاءنى به ، فلما رأيته كادت الدموع أن تذرف من عيني - لأننى أعرفه بنشاطه الإسلامى فى المدرسة - لولا أن تمالكت نفسى وسألته فقص أبوه القصة والولد صامت ، فعلمت أن الولد أصيب بعين فرقته بالمعوزات ، ثم قرأت له على الماء رقية العين وقلتُ لآبيه يشرب ويغتسل من هذا الماء سبعة أيام ثم يأتينى ، وبعد سبعة أيام جاءنى الولد وقد سرى عنه فأصبح فصيحاً كعادته ، فعلمته التحصينات التى يقولها فى الصباح والمساء لكى تحصنه ضد العين . . ، والحمد لله ولا قوة إلا بالله .

* قال : أما الأمر العجيب فقد حدث فى بيتنا ، وهو أنه جاءنى رجل وامرأة عجوز ، فدخلا الرجل عندى فى المجلس يحكى لى قصة أمه ، ودخلت العجوز عند أهلى ، ثم استدعيتها فقرأتُ عليها ثم انصرفا ؛ فنظرتُ فى البيت فإذا فيه دود أبيض

(١) من محاضرة مسجلة للشيخ ، وقد ذكرت بقية كلامه فى كتاب العلاج الربانى (ص ٥٩-٦٢) إصدار التاج للنشر والتوزيع . . ، وفى طبعته الجديدة التى تضم الجزء الأول والثانى معا (ص ٨٩-٩٣) فراجعه هناك إن شئت غير مألوف .

(٢) تهيل للنافع فى الطب والحكمة (ص ١٩٩) .

(٣) فى الطبعة الأولى من الصارم البتار (ص ٢٥٠-٢٥٢) .

كثير جداً ! ، فتعجبتُ من ذلك ، فقام أهلى بتنظيف البيت بالمكنسة ، ولكن سرعان ما ظهر الدود مرة أخرى فى كل الغرف ، فقلت لأهلى تعالى نفكر فى الأمر ، ماذا قالت لك هذه العجوز ؟ ، قالت : كانت تنظر إلى جوانب البيت وتطيل النظر لكن ما تتكلم بشيء . . . ، ففهمتُ أنها عين ، رغم أن بيتنا متواضع جداً ، لكن لعل هذه العجوز تعيش فى البَدْو ولم تر الحضر قط ، المهم أحضرتُ ماءً وقرأت عليه رقية العين وقمتُ برشه فى جوانب البيت فسرعان ما اختفى الدود وعاد البيت كما كان .
أ هـ (١) .

(١) لعلى فيما بعد إلى أن أذكر غير ذلك من مشهور الحكايات عن العين وأثرها مما شاهده الناس فى طبعة جديدة للكتاب .

الفصل الثالث عشر
التحصينات الشرعية (القرآنية
والنبوية) للحماية والعلاج من
الحسد

★ التحصينات القرآنية .

★ التحصينات والأدعية النبوية .

التحصينات الشرعية (القرآنية والنبوية) للوقاية والعلاج من الحسد

أولا التحصينات القرآنية (١) :

١ - الفاتحة : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ (٢).

٢ - آية الكرسي : ﴿ الله لا اله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ (٣).

٣ - خواتيم سورة البقرة :

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير * لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (٤).

(١) يُقرأ كل منها ثلاث مرات صباحا ومثلها مساءً.

(٢) الفاتحة ١-٧ . ، انظر الهامش التالى رقم (٣) .

(٣) البقرة : ٢٥٥ أخرج الديلمى فى مسند الفردوس (٤٣٧٩) عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : « فى كتاب الله ثمانى آيات للمعين لا يقرؤها عبد فى دار فتصيبهم فى ذلك اليوم عين إنس أو جن : فاتحة الكتاب ، سبع آيات ، وآية الكرسي » .

انظر أيضا : ما يُعْتَصَم به من الشيطان [حديث رقم (١٠) بتحقيقى] ، فىض القدير للمُنْأَرى (٤٥٧/٤) .
(٤) البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦ ، وفى فضلها ما صرح عن لى مسعود الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » .

[رواه البخارى (٥٠٠٨ - ٥٠٠٩) ، ومسلم (٨٠٧) ، وأبو داود (١٣٩٧) ، والترمذى (٢٨٨١) ، وابن ماجه (١٣٦٨ ، ١٣٦٩) ، والدارمى (١٤٨٧) ، وأحمد (١١٨/٤ ، ١٢١ ، ١٢٢) ، وابن حبان (٧٧٨ ، ٢٥٦٦) ، والديلمى (٥٥٩٦) .

قيل : إن معناه كفتاه من كل سوء ، والله أعلم.

٤- الإخلاص :

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾^(١).

٥- المعوذتان :

﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد ﴾^(٢).

﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس ﴾^(٣).

ثانياً : التحصينات النبوية^(٤).

وهي كثيرة جداً والحمد لله ، ومنها :

* أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة^(٥).

(١) الإخلاص : ١-٤ . . ، أنظر الهامش رقم (٢٧٧).

(٢) الفلق : ١-٥ .

(٣) الناس : ١-٦ وفي فضل الإخلاص والمعوذتين ما صَحَّ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يتعوذ بهما إذا أوى إلى فراشه [رواه البخاري (٥٧٣٥) ، ومسلم (٢١٩٢) ، وأبو داود (٣٩٠٢) ، وابن ماجه (٣٥٢٩) ، ومالك (ص ٩٤٢-٩٤٣) ، وأحمد (١٠٤/٦ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٨١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٣) وعن عبد الله ابن خبيب الأسلمي قال : خرجت في قلعة شديدة نطلب رسول الله ليصلي بنا ، فأدركناه فقال : « قل » : قلم أقل شيئاً ، ثم قال : « قل » قلم أقل شيئاً . ثم قال : « قل » قلت : يا رسول الله ! وما أقول ؟ ! ، قال : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » [رواه أحمد (٣١٢/٥) ، أبو داود (٥-٨٢) ، والترمذي (٣٥٧٥) والنسائي (٢٥٠/٨) ، وابن ماجة (٢٥١) ، والبيهقي (١٤٩/٧)] .

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال له يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرأتها : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ يا عقبة أقرأهما كلما نمت وكنمت ، ما سأل سائل ولا استعاذ مستعاذ بمثلهما . . وفي رواية أخرى ذكر السورتين ومعهما ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [رواه مسلم (٨١٤) ، وأحمد (٤/١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨) ، والنسائي (٢٥٤-٢٥٠/٨) ، والحاكم (٢٤٠/١) ، والدارمي (٣٤٤٠) ، وأبو داود (١٤٦٣) ، والترمذي (٢٩٠٢) ، وأنظر مجمع الزوائد (١٤٨/٧-١٤٩) .

وفي فضل المعوذتين ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجن وعين الإنسان ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما [تقدم تخريجه في الهامش (٧٢)] .

(٤) تقرأ ثلاث مرات صباحاً ومثلها مساءً .

(٥) تقدم تخريجه في (ص ٣١) .

* رقية جبريل للنبي ﷺ : باسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، باسم الله أرقبك (١).

* اللهم رب الناس ، أذهب البأس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما (٢).

* باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم (٣).

* أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (٤).

* أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذراً وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن (٥).

* اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذٌ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم ، اللهم إنه لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، سبحانك وبحمدك (٦).

* أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه وبكلمات الله التامات التي لا

(١) رواه مسلم (٢١٨٦) ، وأحمد (١٦٠ / ٦) .

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٥) ، ومسلم (٢١٩١) ، وابن ماجه (٣٥٢٠) ، وأحمد (٤٥٤٤ / ٦) ، ٥٠ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ٢٠٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠) عن عائشة .

(٣) الحديث عن أبيان بن عثمان عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يمسى باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي » قال راوى الحديث فأصاب أبيان ابن عثمان النالج - يعني الشلل النصفي - فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه ، فقال : مالك تنظر إلى؟ فوالله ما كنت على عثمان ، ولا كنت عثمان على النبي ﷺ ، ولكن اليوم الذي أصابني ما أصابني غضبتُ فنبئت أن أقولها [رواه أحمد (١/٦٢، ٦٦، ٧٢) وأبو داود (٥٠٨٨-٥٠٨٩) والترمذي (٣٣٨٨) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) ، وابن حبان (٨٤٩، ٨٥٩) ، والحاكم (١/٥١٤) ، والنسائي في اليوم والليلة (١٥) ، وابن السني (٤٤) ، والطبراني (٧٩) ، وصحيح الجامع (٦٣٠٢) .

(٤) مسلم (٢٧٠٩) ، ومالك في الموطأ (ص ٩٥١) ، وابن حبان (١٠١٨) ، وابن السني (٥٢٨) .

(٥) رواه أحمد (٤١٩/٣) بسند صحيح ، والبيهقي في الدلائل (٩٦/٧) ، وابن السني (٦٣٧) ، وانظر مجمع الزوائد (١٠/١٢٦-١٢٧) .

(٦) أخرجه أبو داود (٥٠٥٢) ، والنسائي في اليوم والليلة (٧٦٧) ابن السني (٧١٣) ، الطبراني في الصغير (٤٨/٢) بسند صحيح .

يجاوزهن برّ ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذراً وبراً ومن شر كل ذي شر لا أطاق شره ، ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، إن ربي على صراط مستقيم (١).

* باسم الله أرقبك ، والله يشفيك من كل داء فيك ، من شر النقائث في العقد ومن شر حاسد إذا حسد (٢).

* تحصنت بالله الذي لا إله إلا هو إلهي وإله كل شيء ، واعتصمت بربي ورب كل شيء ، وتوكلت على الحي الذي لا يموت ، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الرب من العباد ، حسبي الخالق من المخلوق ، حسبي الرازق من المرزوق ، حسبي الله هو حسبي ، حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله مرمى ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

* اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، اللهم إني أهوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم (٣).

قال ابن القيم : ومن جرب هذه الدعوات عرف مقدار منفعتها ، وشده الحاجة إليها ، وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله ، بحسب قوة إيمان قائلها وقوة نفسه واستعداده ، وقوة توكله ، وثبات قلبه فإنها سلاح والسلاح بضاربه (٤).

(١) زاد المعاد (١١٩/٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٥٢٤) ، والحاكم (٥٤١/٢) إسناده ضعيف ، عن أبي هريرة .

(٣) ابن السني (٥٧) ، والبيهقي في الدلائل (١٢٢/٧) إسناده ضعيف .

(٤) زاد المعاد (١١٩/٣).

ملاحق الكتاب

١- صورة من الفتوى رقم ٨٠١٦ في ١٤٠٥/١/٢٢ هـ عن حكم الرقية بالآذكار والأدعية الثابتة عن النبي ﷺ .

* * *

٢- صورة من الفتوى رقم ٣٦٢٤ بتاريخ ١٤٠١/٥/١٥ هـ عن حقيقة تأثير عين الحاسد من المحسود وثبوت ذلك بأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ .

* * *

٣- صورة من الفتوى ٤٣٩٣ بتاريخ ١٤٠٢/٢/٢٥ هـ وفيها سؤال عن حكم التبخر بالشب والأعشاب والأوراق لمن أصيب بالحسد وآخر عن حكم تعليق التمام والأحجية .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
★ الفصل الأول : مدخل على عالم الحسد *	٥
* معنى الحسد وأصله	٧
* العين في لغة العرب	٧
* أصل الحسد	١٠
* ما الفرق بين الحاسد والعائن ؟	١٢
* هل يحسد الأعمى ؟	١٢
* هل يحسد الإنسان نفسه أو ماله أو أولاده ؟	١٣
★ الفصل الثاني : الحسد في القرآن الكريم *	١٥
* الحسد في القرآن الكريم	١٦
* مع أئمة التفسير حول آيات الحسد في القرآن الكريم	١٦
* حسد اليهود لإسلام والمسلمين	١٨
* لماذا يحسدون النبي ﷺ وأمة ؟	١٩
* إشارة لطيفة	٢٧
★ الفصل الثالث : الحسد في حديث النبي ﷺ *	٢٩
* أحاديث النبي ﷺ عن الحسد	٣١
★ الفصل الرابع : الإصابة بالعين من كلام أهل العلم *	٣٨
* مع الحافظ ابن حجر وغيره	٣٩
* كلام ابن قيم الجوزية في الإصابة بالعين	٤١
★ الفصل الخامس : مراتب الحسد وأسبابه *	٤٥
* أربع مراتب للحسد . . وحكم كل منها	٤٦
* أسباب الحسد على وجه التفصيل	٤٦

٥٢	* سبب كثرة الحسد بين الأقران والأقارب
٥٧	★ الفصل السادس : حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه *
٥٨	* حقيقة الحسد
٥٩	* حكم الحاسد وأقسامه
٦٦	* الحسد والغبطة والمنافسة
٦٧	* هل يباح الحسد في بعض الأحيان ؟
٦٩	★ الفصل السابع : ما جاء من الآثار عن السلف الصالح
	والحكماء والأدباء والشعراء في الحسد والحاسدين
٧١	* آثار وحكم عن الحسد وأهله
٧٩	★ الفصل الثامن : علاج القلوب الحاسدة الخبيثة
٨٠	* الدواء الذي ينقي مرض الحسد عن القلب
٨٦	* القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب
٨٨	* نصيحة ابن الجوزي لدفع الحسد عن القلب
٨٩	* وصية شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك
٩٠	* مع الماوردي من «أدب الدنيا والدين» في علاج قلوب الحاسدين
٩٤	★ الفصل التاسع : الحسد بين العلم والطب وأثره على الفرد والمجتمع
٩٥	* الحسد في ميزان الطب الحديث
٩٧	* الحسد في ميزان العلم الحديث
٩٨	* ضرر معنوي وآخر مادي
٩٩	* نتائج الدراسات العلمية للحسد
١٠٢	* ماذا يجنى الحاسد من حسده ؟
١٠٣	* أثر الحسد في المجتمع

- * حكم الحاسد وواجب الحاكم نحوه ١٠٤
- * القصاص من العائن ١٠٥
- ★ الفصل العاشر : حسد الجن للإنس ١٠٦
- * هل الجن تحسد الإنس وما دليله من السنة ؟ ١٠٨
- * الوقاية من حسد الجن . . كيف ؟ ١٠٩
- ★ الفصل الحادي عشر : الوقاية والتحصن من الحسد ١١١
- قبل وقوعه . وكيفية علاجه إذا وقع
- * الوقاية من الحسد . . كيف ؟ ١١٢
- * كيف تتحصن من الحسد قبل وقوعه ؟ ١١٤
- * رقى عجيبة في علاج الحسد ١١٥
- * كيفية علاج المحسود ١١٦
- * أربعة أمور مهمة تتعلق بعلاج المحسود : ١١٨
- ١- مشروعية رقية المحسود ١١٨
- ٢- شروط الرقى ١١٨
- ٣- لا يجوز تعليق التائم والأحجية للوقاية من الحسد ١١٩
- ٤- لا يجوز التبخّر بالأعشاب والأوراق والبخور للعلاج ١٢١
- من الحسد
- ★ الفصل الثاني عشر : حوادث شهيرة عن الإصابة بالعين ١٢٢
- * إصابة سهل بن حنيف رضى الله عنه بالحسد ١٢٤
- * امرأة تحسد سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ١٢٤
- * الشيخ أحمد القطان يحكى عن إصابته بالعين ١٢٤
- * حوادث أخرى ١٢٦

★ الفصل الثالث عشر: التحصنات الشرعية (القرآنية) ١٢٩

والنبوية) للوقاية والعلاج من الحسد

* التحصنات القرآنية ١٣٠

* التحصنات والأدعية النبوية ١٣٢

* ملاحق الكتاب ١٣٥

* القهرس ١٣٧

